الرؤية الفكرية و التشكيل الجمالي
في ديوان"الأرض المباركة"
للشاعر عدنان النحوي

د.علي جاد الحق سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعد مكتبة الأدب الإسلامي ركازاً أدبياً ينتظر هماً عالية، ونظرات واسعة، وأيدي أمينة. وديوان "الأرض المباركة" للشاعر عدنان النحوي قطعة من هذا الركاز النفيس، بما يحويه بين دفتيه من رؤى وأفكار ومعان إسلامية، تشتمل على بلاغة في التعبير، ودقة في التصوير، ومس للقلوب، وإثارة للنفوس، والقدرة على تحريك العاطفة. هذا ما حدا بي لإختيار ديوان "الأرض المباركة" الرؤية و التشكيل موضوعاً لهذا البحث.

ويرجع اهتمامي بهذا الموضوع بالإضافة إلى ما تقدم إلى إعتبارين:

أولاً : عنوان الديوان "الأرض المباركة" حيث أنه أول ديوان في الشعر العربي ينطلق من منطلق فلسطيني ليعانق الإسلام قوميته وإنسانيته. وكم أتمنى أن تكثر الدواوين عن فلسطين قلب أمتنا المكلوم، وأمنيتها المهيضة. وللكلمة الطيبة سلطان وأي سلطان يقول صاحب الديوان[1]

يا أمة الإسلام قد عظم البلا واربد في ساحاتك الطغيان
أفلت حبل الله وارتخت العرى وجرت على ساحاتك القطعان
وهجرت قرآنا وسنة أحمد يا ويل من ينأى به الهجران

(١) الديوان ص ١٥٤.

ثانياً : إن صاحب الديوان ولد على ثرى "الأرض المباركة" واستظل بسمائها، وتفتحت أكمام صباه في فترة كانت تضطرم بها أحشاء هذه الأرض المباركة بالثورة ضد الإستعمار الإنجليزي المتحالف مع الصهيونيه، فارتبط عدنان النحوي منذ صباه الباكر ببلدته "صفد" ووطنه فلسطين وقوميته العربية وأمته الإسلامية. فهذا الديوان نبض وجدانه، ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره وذوب فكره، فليس عنه غناء و ليس منه بد.

وبقدرة الشاعر المتمكن يستقطب الشاعر في ديوانه مشاعر أمته للعمل من أجل خلاص الأرض المباركة من رجس الصهاينة، ورأى أن الإسلام بقواعده هو الدواء لتلك الأمة التي طعنت في عزتها، فهوت تتلمس في الثرى سنداً و من ثم انطلق يقول[1]

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى ... من الكتـاب وعـــباد لـــه دانوا
تشـــوقت لجـــنان الخـــلد أنفسهم ... فأرعدت في البطاح الحمر فرسان

وبهذه الروح الإسلامية كتب النحوي أروع قصائد الديوان وكل قصائده رائعة مثل : دعاء، فلسطين في ظلال القرآن، لم يبق في عرفات إلا دمعة، وتبسمت حين أشرق الفجر، وعزة الإيمان، أسواق ...الخ.

وهذه أمثلة تنبئ عما يمتاز به الديوان من الملامح الإسلامية، وفيه يصور الشاعر الواقع المؤلم الذي كشرت فيه المصائب عن نابها، واستغاثة الوطن المنكوب، فإذا المستجيب لصرخاته قاس

(١) المصدر السابق ص ١٠٧ .

فاتك، ويلتفت الشاعر عن هذا الواقع المرير ليتساءل: أين حمية المسلم؟ أين كتائب الإيمان؟ تتراكض للقتال والردى يترقب، ونداؤها الله أكبر؟ أين الكتائب التي التي تحرص على الفوز بإحدى الحسنيين فيقول[١] :

وطني ذكرتك والمصائب كثرت ... عن نابها واحمر فيها المخلب
فصرخت مكلوما: أما من منجد ... يحنو علىّ ومسعف لا يرهب
أين الحمية إذ رآك ممزقاً ... إربا و عرضك مستباح يثلب
أين الكتائب أقبلت و نداؤها ... الله أكبر! والردى يترقب
ومضوا لإحدى الحسنيين يشدهم ... شوق إلى دار الخلود ويجذب

ويقرر الشاعر فيما يقرر في هذا الديوان أن النكبة الحقة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح الكفار - وأسفاه - في زلزلة العقيدة عند كثير من أهلها، و أن هذا هو الذي انتهى إلى ضياع البلاد والناس، لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد أبناء البلاد على مراحل وفق خطط يمليها المكر الأسود والحقد الدفين، وعندما تم لهم ما أرادوا احتلوا الديار، وأذلوا الرجال، وقتلوا الأبطال، ويتموا الأطفال، وشردوهم تحت نجم كل سماء وجعلوهم فقراء غرباء. يقول[٢] :

لست أبكي ترابها ومروجا ... نضبت أو حجارة صماء
إنما أندب العقيدة تذوي ... في نفوس تعيسة والإباء

(١) الديوان ص ٨١.
(٢) الديوان ص ٩٦.

ما هــجرنا ديارنا، غير أنا قد هجرنا العقيدة الســمحاء
لفظتــنا الديار إذ ذاك لفظاً وأحالــت كــرامنا غــرباء

هذه الروح الإسلامية العالية التي يحلق في فضائها الرحب الشاعر عدنان النحوي ، ومن خلال معاناته وما حل بوطنه من مآس، كل ذلك له أثره الملموس في ديوان "الأرض المباركه" الذي تتجلى فيه شخصية الشاعر في قصائده التي توهج بها وجدانه فأخذت صوره تدق وتتجلى بتأثير الصدق العاطفي والمعاناة الشعورية، كما ارتفعت لغة شعره وموسيقاه إلى مرتبة سامية من الإحساس وقوة التعبير، كل ذلك وغيره كشفت عنه هذه الدراسة التي دات حول محورين هما الرؤية و التشكيل.

ومهما يكن فقد بذلت الجهد و أودعت هذه الدراسة من تفصيل لديوان "الأرض المباركة"ما يسوغ لي أن أقدمه للقراء الكرام راجياً أن يجدوه أهلاً لذلك.

والله من وراء القصد، و الحمد لله أولاً و أخيراً

د. علي جاد الحق سعيد

توطـئـــة

الشاعر عدنان النحوي[١] من أوائل الشعراء المعاصرين في فلسطين الذين التزموا بمنهج الإسلام عقيدة وسلوكا وأدباً، وكرس حياته لذلك دون أن يبخل براحة، أويضن بجهد أو يتردد فى عطاء، لهذا نجده مثلا صادقا للأدباء الإسلاميين في العصر الحديث، وكيف لا ؟ وقد صافحت عينا شاعرنا نور الوجود في بيت علم تنمتى أرومته إلى عالم كان تضاف اليه صفة علمه لرسوخه فيه، حتى صارت تلك الصفة "النحوي" علماً له و لأسرته من بعده[٢].

---

(١) التعريف بالشاعر: عدنان بن علي رضا بن محمّد النحوي، الميلاد: صفد ــ فلسطين ــ ١٣٤٦/٧/٢٣هـ الموافق ١٩٢٨/١/١٥م. دبلوم في التربية والتعليم و أصول التدريس من فلسطين، وانترميديت فلسطين، بكالوريوس في هندسة الاتصالات الكهربائية من مصر بتقدير جيد جدا مع مرتبة الشرف الثانية تبلغ المؤلفات التي أصدرها عدنان النحوي حتى الآن ثمانية وتسعين كتاباً في موضوعات مختلفة: الفكر الإسلامي والدعوة والفقه والتوحيد خمسة وثلاثون كتاباً، دراسات في أحداث الواقع وقضاياه الفكرية عشرون كتاباً، الأدب الملتزم بالإسلام والمذاهب الأخرى كالحداثة وغيرها: أربعة عشر كتاباً، الدواوين الشعريّة: ثمانية دواوين، الملاحم: أربع عشرة ملحمة، كتب في اللغة الإنجليزية : ثلاثة كتب، كتب مترجمة: أربعة كتب بالإضافة إلى مقالات في صحف العالم العربي والإسلامي، ومحاضرات في الندوات والمؤتمرات. ولمزيد من المعلومات راجع موقعه على شبكة المعلومات الدولية:
http://www.alnahwi.com

(٢) د. مصطفى هداره ، ديوان الأرض المباركة، المقدمة، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي ١٤٠١/١٩٨١، ص٣١

ولد الشاعر عدنان النحوي في أواخر العشرينات في القرن العشرين وفيه نشأ، و أخذت أكمام صباه تتفتح في الثلاثينات ، وهي حقبه كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزي المتحالف مع الصهيونية، وكانت تقدم فلسطين عاما بعد عام فلذات اكبادها شهداء حريتها وعروبتها وإسلامها، فارتبط عدنان – منذ صباه الباكر – ببلدته ووطنه وأمته ودينه، ولا انفصام في الحقيقة بين هذه الجزيئات التي تؤلف دائرة واحدة، تبدأ من المركز– وهو مسقط رأس الشاعر صفد – ثم تتداح لتتسع شيئاً فشيئاً لتضم في حناياها فلسطين، ثم العالم العربي بأسره، ثم العالم الإسلامي الرحيب بأمسه وحاضره وغده[١] .

وديوان الأرض المباركة يحفل بشاعرية جديرة، ويضم قمة جديدة من قمم الشعر الإسلامي في الأدب العربي المعاصر، وهو جزء من مسيرة حياة الشاعر عدنان النحوي، وشعره يتوزع بين الالتفاف الوطني والاندفاع الإسلامي، يشعل هذا بوقد إحساسه المشبوب بحب الوطن والعروبة في سائر أقطارها والعالم الإسلامي على طول امتداده. ويوشي كل ذلك بصياغة شعرية رصينة.

واستطاع الشاعر بحسن بيانه أن يجذبنا لهذا الديوان، فهو تعبير عن صاحبه، وصورة صادقة له في غضبه ورضاه، وبشره وحزنه، وملخصا لما تنطوي عليه نفسه من شتى الانفعالات والنوازع.

---

(١) المصدر نفسه.

وكم نتمنى أن تكثر مثل هذه الدواوين عن فلسطين، قلب أمتنا المكلوم، وأمنيتها المهيضة، وللكلمة سلطان وأي سلطان- ففلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل مسلم.

ومن يطالع الديوان يتحلى بالصبر في أثناء رحلته، رحلة يرى فيها أصداء الروح الإنسانية وتتجاوب مع الواقع الحي ويشهد صورة العصر الحديث بأشكاله المختلفة، ويتلمس الجراحَ النازفة في شتى المواطن. وقصائد الديوان ومقطوعاته نفثات ورؤى على درب الجهاد الطويل.

والإنسان الذي يخاطبه الشاعر في هذا الديوان كل من حمل الإسلام منهج حياة، والتزم به عقيدة و سلوكاً و كل من جاهد بالكلمة و المال و النفس. ويأمل الشاعر أن يحمل أبناء الجيل في قلوبهم حقيقة الإيمان وأن يمضوا مجاهدين لإستعادة القدس، واسترداد الحق المغتصب في فلسطين.

والشاعر قد التزم في هذا الديوان بالشعر الموزون المقفى والتمسك بعمود الشعر العربي. والقصيدة في هذا الديوان ذات وحدة موضوعية لها عنوان.

وكذلك فإنه لا يفرط أبداً في سلامة اللغة، وشفافية العبارة، وحلاوة الكلمة، فجاءت لغته سهلة واضحة، فقد اختار من المفردات ما يتلاءم مع الموضوع وروح العصر. وإن لم تخل المفردات من بعض الألفاظ القرآنية التي تعكس ثقافة الشاعر ونزعته الإسلامية. وخلاصة القول إن ديوان "الأرض المباركة" دقات تنبيه من شاعر

متوقد الإحساس رهيف القلب، وهو ساحة مقاومة ضد الاستعمار والصهيونية والمؤامرات الدولية التي تحاك بليل للأمة العربية والإسلامية .

وقد حرص الشاعر على أن يشير إلى الحقبة الزمنية التي كتب فيها قصائد هذا الديوان، وهي تقع خلال عام٩٤٣ و ١٩٧٨ وكان من عادته دائماً أن يذيل كل قصيدة بتاريخ، وتلك ميزة كبرى يفرح بها رجال الأدب ونقده كما يقول الدكتور نوفل: "لأنها تعين الدارس على فهم مراحل نمو الشاعر وتطوره، وتطالعنا على ما خفي من ملابسات و ظروف العمل الفني"(١) .

والمتأمل لأحداث هذه الحقبة الزمنية التي عبر عنها في ديوان "الأرض المباركة"، يجد أنها منعطف تاريخي مهم في تاريخ القضية الفلسطينية إذ وقعت فيها سلسلة من الحروب منذ عام ١٩٤٨م و حتى ١٩٧٣م وارتكبت فيها مذابح عديدة.

والشاعر عدنان النحوي عاش في صميم القضية الفلسطينية الحاضرة و رأى بعينيه مشاهد المأساة الفاجعة.

وها هو ذا يثري المكتبة الأدبية بديوانه الأرض المباركة يصل إلى محرابها، يدعو فيه إلى التأمل و الترحم على الشهداء الذين ناضلوا وكافحوا في سبيلها، وكلنا في الهم سواء، ومن ينام نوماً هادئاً، وهو يعلم أن في بيته وكر أفعى. فيجب أن لا ننسى أن

(١) يوسف نوفل، ديوان الشعر ص ١٠٨، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٧٨.

لنا في فلسطين إخواناً كراماً أباة صابروا تحت مقصلة اليهود، فيجب أن نبادر إلى إنقاذهم، و أن لا نتخلى عن نصرتهم.

وهذا ما عبرت عنه قيثارة الشاعر عدنان النحوي في هذا الديوان، جمع بين القديم والجديد وتمسك بالصياغة الشعرية القديمة وجدد في بناء القصيدة وفي الموضوعات التي تناولها، زاوج بين القص والوصف وركز على اللوحات الفنية حيث رسم صورة متحركة لما أحدثه اليهود من قتل وهدم و تدمير. تعبيراً عن خيوط تفاعله مع شرائح الواقع التي أحالها الشاعر إلى رؤى إنسانية .

أولاً: الرؤية و مرتكزاتها

تمهيد : صدر ديوان "الأرض المباركة" للشاعر عدنان علي رضا النحوي عن المكتب الإسلامي في بيروت في طبعته الأولى سنة ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م بحجم متوسط في ١٧٦ صفحة. كما أصدر المكتب الإسلامي الطبعة الثانية في ١٤٠١هـ / ١٩٨١م مشتملة على رؤية من عدد من رجال الأدب و الصحافة و الفكر حول هذا الديوان الذي يضم أربعين قصيدة و مقطوعة.

وقد اعتمدت الطبعة الثانية في رؤيتي لما جاء في هذا الديوان. و ديوان "الأرض المباركة" يصور رحلة الشاعر عدنان النحوي مع الزمن من سنة ١٩٤٣- ١٩٧٨ م داخل دائرة واحدة محورها الوطنية التي تتطور إلى الإنسانية عابرة بالقومية. يقول

الدكتور أحمد كمال زكي: "انطلق عدنان النحوي من منطلق فلسطيني ليعانق قوميته وإنسانيته، وكانت البداية ملحمية...." (١)

ويقع في بؤرة هذه الرؤية الإسلامية اهتمام عدنان النحوي بقضية فلسطين لا بوصفها وطناً سياسيا وجغرافيا للشاعر ولأبناء وطنه الذين شردهم العدو الصهيوني ومن قبله الاستعمار البريطاني، ولكن بوصفها أرضاً مباركة على حد قول الشاعر عدنان النحوي : " من عبق هذه الأرض المباركة ومن أنفاسها الزكية ، من مرابعها الطيبة ، ومن صفحات جهادها الكريم خرجت هذه الأبيات من الشعر. أرض مباركة لم تكن بركتها في حجارة، أو طين في نبات أو طير في مروج أو زهورٍ، وإن كانت هذه كلها طيبة، و لكنها بركة عقيدة وجهاد، بركة رسالة سماوية ونبوة، بركة تاريخ طويل يرسمه وحي الماء ، لتمضي معه جنود الحق في صراع مع الباطل. ونمت بركة هذه الأرض حين أسرى الله سبحانه وتعالى بعبده محمد بن عبد الله- ﷺ - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ليؤم الأنبياء و يمضي به البراق... إلى السموات فتربط بذلك الديار وتتصل القلوب وتجتمع الأمة على مرابع الخير وفي طريق النور. (٢)

---

(١) أحمد كمال زكي، من كلمة إذاعة المملكة العربية السعودية - مقدمة ديوان الأرض المباركة، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ص٣٤.

(٢) عدنان علي رضا النحوي، مقدمة الديوان "الأرض المباركة" الطبعة الأولى ص١٩.

والأرض المباركة أيضاً : هي التي احتضنت ميلاد عيسى بن مريم، واجتماع الأنبياء و كانت أولى القبلتين وبها ثالث المسجدين حيث المسجد الأقصى، فهي أرض مباركة تدخل في حمى الإسلام وعقيدة المسلمين.

ولذا أحسن الشـــاعر صنعاً عندما صدّر الديوان بالآية الكريمة : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١)

ويقول الأستاذ زهير الماردينى عن تصدير الديوان بهذه الآية من مفتتح سورة الإسراء وتسمية الديوان بالأرض المباركة، عندها فقط عرفت سر التسمية بالأرض المباركة، عرفت من خلال قصائد النحوي أنه من هناك من البلد الذي يبكي عقوق الأهل قبل عقوق الأصدقاء وجحود الأقارب قبل جحود الأعداء"(٢)

وكأني به في هذا التصدير بهذه الآية الكريمة من مفتتح سورة الإسراء يعلن الشاعر عدنان النحوي التزامه بالدفاع عن هذه الأرض المباركة، واختيار الكلمة الطيبة ضرباً من ضروب الجهاد

---

(١) الآية ١ من سورة الإسراء.
(٢) زهير ماردينى، مجلة الجيل الجديد، العدد ٥٠٧ في ٨ ، ١٩٧٨/١/١٤ ""شاعر لا يأكل من صحن القضية" و انظر ديوان "الأرض المباركة ص ٤٧.

في سبيل إعلاء كلمة الله." وأعداء الإسلام في كيدهم للإسلام ودعاته، يستغلون كل شيء، الكلمة و الصورة و العلم والمادة.." [١]

وتسمية الديوان بالأرض المباركة يوحي بالموضوع الذي يدور حوله الديوان. ويقول الدكتور مصطفى هداره : " لن تجد حادثة أصابت فلسطين أو منعطفاً يرتبط بمصيرها إلا وقد عاش في وجدان الشاعر وامتزج بدمائه وأنفاسه و خفقاته وفكره ، منذ بداية الأربعينات حتى اليوم"[٢] .

ويؤكد عدنان النحوي ويشدد على دور الكلمة الطيبة وأهميتها في الدفاع عن مقدرات الأمة فيقول: " وأحداث أمتنا لا يكفيها الشعر ولا النثر، إنها أحداث جسام تحتاج إلى كل أنواع الأسلحة و العتاد، وكل أنواع القوى و أساليب الجهاد.

والكلمة قوة من هذه القوى وسلاح من هذه الأسلحة... سلاح لابد أن يكون له دوره في كل معركة وفي كل ميدان. وفي الأمة تكون الكلمة قوية... قوية بمنطلقها وأثرها ومداها..." [٣]

ويؤكد هذا ما قاله الشاعر في قصيدة " نذير"[٤]

هبوا سراعاً إلى حومات معترك مـــن الجهاد يدوي من روابينا
هل تحسبون بأن الليـــل منعـــقد فنـــــمتم وضللـــتم في دياجينا

---

(١) محمد حسن بريغش ، في الأدب الإسلامي المعاصر ،مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص٢٠
(٢) د. مصطفي محمد هداره ، أستاذ الأدب العربي في جامعة الإسكندرية في تقديمه لديوان "الأرض المباركة" ص ٢٣ .
(٣) عدنان النحوي، مقدمة الديوان ،ص ٢٠
(٤) الديوان ص ٦٢

وينطلق عدنان النحوي الشاعر الأصيل فيقدم شعره من خلال رؤية ذاتية الوعي وذاتية الانتماء وهذه الرؤية ترتبط بالتجربة الشعرية الصادقة و المعاناة الفنية الواعية. و يقول الدكتور يوسف نوفل : " ليس هناك من هو أقدر من الشاعر في الحديث عن موقفه من الشعر وموقف الشعر منه، سواء أكان هذا الحديث في إحدى قصائده، أو ضمن تقديم الشاعر لأعماله، أو في حديثه عن سيرته الشعرية"(١) .

وهذا ما عبر عنه الشاعر عدنان النحوي في تقديمه لديوانه "الأرض المباركة" بقوله : " لذلك كان الشعر بالنسبة لي خلجات تضطرب مع الأحداث وأحاسيس تنطلق على غير ميعاد وعلى هذا النحو من التعبير..." (٢)

وقصائد الديوان يطبعها طابع الشعور بالمأساة الفلسطينية وإدراك أن حل المأساة لا يكون إلا بالإسلام ، هذا إلى جانب معاناته لأحداث العالم العربي وتعتمد الرؤية التي انبثق عنها ديوان "الأرض المباركة" على ثلاثة مرتكزات هي:

أولاً: العقيدة الإسلامية الراسخة

والعقيدة هي الأصل الذي تتفرع عنه كل الأجزاء والفروع ، فإذا كانت عقيدة المرء صالحة وصحيحة، صلح المجتمع وصلحت النتائج"(٣)

---

(١) د. يوسف حسن أستاذ الأدب في جامعة عين شمس، "أدباء من السعودية" - دار العلوم- الرياض- السعودية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص ١١٣.
(٢) عدنان النحوي، مقدمة الطبعة، ديوان "الأرض المباركة" .
(٣) محمد حسن برغش، في الأدب الإسلامي ص ١١٠ .

والعقيدة الإسلامية هي أبرز مرتكزات الرؤية ومقوماتها التي انطلق منها الشاعر عدنان النحوي، ومن أمضى الأسلحة التي تسلح بها، وهي السراج الذي أفاض بلألائه نوراً يتصل بأسلة لسان الشاعر، فنفث بهذا الشعر الملئ بالقيم الجليلة والأفكار النبيلة"الأديب الحق موقف.... وموقف الأديب المسلم ينبع من عقيدته، الأديب المسلم يجب أن يعتز بانتمائه عن قناعة تامة و إيمان عميق"(١)

"ثم إن الدين الإسلامي لم يكن دينا قاصرا محدودا في العبادات وحدها حتى يقال عنه، انه إذا سايره أدب كان أدبا منحصرا في العبادات وحدها. بل إنما الإسلام هو الدين الذي اتسع كاتساع الإنسان وامتد كامتداد حياته ولم يتعارض إلا مع ما يتعارض مع مصلحة الحياة الإنسانية ذاتها ومع ذوقها الجميل وأنه إذا تعارض فيتعارض مع عمليات الهدم والإخلال بصالح الإنسان وإنسانيته"(٢)

"والأديب عضو في مجتمع و فرد من أمة يتفاعل و يعطي ويملك من جوانب الإبداع الأدبي ما يجعل دوره في حياة أمته مهما وخطيراً"(٣)

---

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام، د.نجيب الكيلاني، أديب إسلامي كبير من مواليد مصر ١٩٣١ م. مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الرابعة. ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ص١١- ١٢

(٢) محمد الرابع الحني الندوي ، الأدب الإسلامي و صلته بالحياة ، دار الصحوة بالقاهرة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص٢٢

(٣) د.عبد الرحمن العشماوي ، علاقة الأدب بشخصية الأمة ، مكتبة العبيكان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص٢٩

ولا شك في أن ثمرة هذا الاحساس القوي بجوهر العقيدة الإسلامية هو الذي تربى ونشأ عليه الشاعر عدنان النحوي وأسهم في تكوين إبداعه الأدبي وتفجير ينابيع شاعريته ومن ثم يؤكد الشاعر على دور والديه في هذه التنشئة الدينية منذ نعومة أظفاره ويبدو لنا هذا واضحا من إهدائه الديوان لوالديه فيقول[١]:

إلى والديّ اللذين علماني محبة ديني ووطني
أعطيا..... فعلماني العطاء
وأوفيا..... فعلماني الوفاء
وصبرا فعلماني الصبر
ومن حنانهما تعلمت الحنان

" ولذا لم يغب عن خاطره جوهر هذه العقيدة في أي قصيدة من قصائد الديوان، فوصف الطبيعة مثلا عند عدنان النحوي وسيلة وليس غاية في ذاته فهو يستنشق عبير بلاده ويستجلي مفاتنها تأكيدا لدينه في مواجهة المد الاستعماري والتحدي الصهيوني لن يغيب عنك قط وأنت تعيش في صحبة ديوانه أنك أمام شاعر صاحب رسالة لا يتخلى عنها قط في أي موقف و لا في أى طور من أطوار حياته وهو في سبيل هذه الرسالة يضحي بمشاعره الذاتية و يكتم عواطفه الشخصية في التزام نادر يعبر عن مدى إيمانه برسالته و هي مناصرة قضايا الأمة و الإسلام"[٢]

(١) عدنان النحوي ، الإهداء، ديوان "الأرض المباركة" ص ٢٣ بتصرف.
(٢) د. مصطفى هدارة، ديوان "الأرض المباركة " ص ٢٣ بتصرف

يقول عدنان النحوي لصديق له[١]:

شكوت لي غير أني لم أجد أحداً أشـــكو إليه وفي جنبي نيران
هواك غـيد تشـكو من لواحظها لكن هوى أضلعي دين و أوطان

بل إنه يرى ان الهوى هو آسر الجهلاء و يصرح بانصرافه عنه الى طلب الرفعة والمجد فالشاعر يرى أن الشعر عنده ليس لاصطياد الغواني ودغدغة أحلام الحسان، وإنما هو وسيلة من وسائل الكفاح والبيان عند المسلم لطلب الرفعة والمجد ويرسم من خلاله لوحات من الجهاد بالسيف والقلم واللسان[٢].

والشاعر عدنان النحوي يخوض تجربة الحياة، يحمل راية العقيدة دوماً، يحملها في ثنايا الأفكار التي يطرحها في قصائده وفي العاطفة التي تسري في القصائد وفي حنايا الصور التي يرسمها، فالكلمة عنده رسالة وأمانة ووسيلة معاً ما دامت هي الصورة الإيجابية، التي توقظ العيون وتحرك الوجدان وتفتح القلوب وتدفع الفكر نحو المستقبل. إنها نبع من النور معطاء خير.

فيقول مخاطبا الشعر بقوله[٣]

أيها الشعر هل ملكت زمـامي فيطـيب الهوى و يحلو النشيد
نفث شـــاعر ووحي كريـم وفـــؤاد محـــرق موقود
فأزف الأناة حيرى لعل الـــ قوم يصحو من غـفوة ويعود

(١) ديوان "الأرض المباركة" ص ١٩٢
(٢) المصدر السابق، ص ١٦٥
(٣) ديوان الأرض المباركة ص ٦٩

والعقيدة الإسلامية الراسخة في قلب الشاعر عدنان النحوي تحثه دائما للصدع بالصدق والدفاع عن الحق ودائما المؤمن الصادق لا يسكت ولا يرضخ لأنه حين يدافع عن الحق يفضح أمر الباطل ولا يخشى في ذلك إلا الله ولا يأبه لما يصيبه في سبيل الله ﷻ .

وهذا الصوت القوي الهادر نسمعه على طول قصائد الديوان و في قصيدة "يا قومي" يصرخ قائلا : (١)

فيا قومي استولى النعاس عليكم وغيركم بالدهر يشقى ويتعب
فنالوا منالاً قد رواه جبينهم وأسسه عزم شديد مذرّب
وأنتم أقمتم في خباء الكرى وقامت بنات الدهر تبكي وتندب
ولم تنهضوا حين استفز شعوركم ونبهكم هذا العدو المجرّب
أما راعكم صوت من الغرب ناعب وماهزكم صوت من الدين يطر

وينعي على قومه التفرق والتحزب البغيض ويحثهم على رأب الصدع والالتفاف حول قضيتهم للدفاع عنها في جبهة واحدة وتحت قيادة واحدة فيقول: (٢)

أما أضرمت تلك الربوع حماسة تجيش بصدر الحر والحر يغضب
أراكم بلفظ تضرم النار فيكم وتذوي سريعا بعد ذاك وتذهب
أرى ليد الأحزاب فيكم مضاربا وأيدي الوئام الحر تشذب

(١) المصدر السابق ص٦٥
(٢) المصدر السابق ص ٦٦

ودائما الفرقة لا يتحقق من ورائها مطلب عزيز و لا هدف سام، و من رام ذلك فاليعد العدة في تحمل المتاعب و شق الصعاب لتحقيق أهدافه النبيلة فيقول[١]:

فهذا سنام الدهر صـــــعب ركابه
وكل عظيم إن أردت سيقـــــرب
كذاك من رام المعالي مكانـــــة
فـصعب المطايا والمسالك يركـب
فدونكم الأيام فاشقوا وجاهـــدوا
فـما العمر إلا أن تعانـوا وتطلبوا

ويختتم قصيدة قومي بتلك الصيحة في استنهاض قومه من نومهم الذي راحو في غطيطه و يخشى عليهم من الضياع و فوات الفرصة عليهم، لأن الفرص تغدو وتعدو سريعة وإذا عدت فيصعب استرجاعها فيقول[٢]

بني وطني هبوا فقد طال نومـكم
وباتت عليكم فرص الدهر تغرب
ألا فرص تغدو وتعدو ســـريعة
ولست تنال اليوم ما كـنت توهب

وليس أدل على قوة عدنان النحوي واخلاصه والتزامه بالإسلام عقيدة ومنهجاً من تصديره لديوان "الأرض المباركة"

---

(١) المصدر نفسه
(٢) المصدر نفسه

وافتتاحه بقصيدة " دعاء " لأن الأديب المسلم حاد للمسلمين مطالب بالصدق مع نفسه ومع مجتمعه وعصره، والقصيدة مشحونة بحرارة العاطفة الإيمانية وتوحي أيضا بأن مدى الكلمة الطيبة رحب فسيح لا تحد بحدود النفس أو الوطن أو الأمد القصير بل تنطلق لتجد الكون كله مجالا رحباً والأزمان أمداً فسيحا والإنسانية ميداناً واسعاً ويعلن من خلالها صدق نواياه في الدفاع عن قضية وطنه التي لم تجد لها آذانا صاغية في الأرض فتوجه الى ربه يناجيه في تضرع ايمانا منه بعدالة السماء التي لا تحابي أحدا وتنصف المظلوم من الظالم.

ويقول الأستاذ حلمي الأسمر[١] : " ونطالع الديوان فنجد الشاعر افتتح الديوان بقصيدته الروحانية " دعاء " ولعل هذا الافتتاح ما يدل على عقيدة الشاعر و إيمانه بأن التوجه الى الله هو السبيل للخلاص من كل الآلام التي تعاني منها البشرية في العصر الحاضر.

وهو يصف حاله الذي يمثل حال المسلمين فقال [٢]:

يارب ! هذا دعـــائي كيف أرفعـــــه
إليك وهو على الآثام محمـــــــــول
لولا التأمل في رحماك ما انفرجـــت
نفس ولا كان للملهوف تجميـــــــل

---

(١) المصدر نفسه

(٢) حلمي الأسمر، جريدة اللواء الأردنية ، جولة في أعماق "الأرض المباركة" ، ٨ تشرين الثاني١٩٧٨، وانظر ديوان "الأرض المباركة" ص ٥٥

يا رب! أنت وليّ فاهدني سبـــــــلا
إلى الرشاد. دعائي فيك مأمـــــــول
يا رب ! أنت الذي أرجو معونـــــته
في كل أمري رجائي فيك موصـــول

وتسري هذه العقيدة الراسخة والإيمان القوي في قصائده عبر كلمات هذا الديوان الذي يعبر عن صاحبه في صورة صادقة له في غضبه و رضاه، وبشره و حزنه، و ملخصا لما تنطوي عليه نفسه من شتى الانفعالات و النوازع. و يعتصر الألم قلبه على هموم أمته الإسلامية، و لكنه لا يفقد الأمل في إشراق صبح مضيء.

وتشكل العقيدة الإيمانية الراسخة رؤية الشاعر في دعوة الأمة الإسلامية و استقطاب مشاعرها والعمل من أجل خلاص الأرض المباركة من قبضة الصهاينة المغتصبين، ويرى أن الإسلام بقواعده وقيمه الراسخة هو الدواء لتلك الأمة الإسلامية التي طعنت في عزتها فهوت تتلمس في الثرى سندا إذ يقول[1]:

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى
من الكتـــاب وعبـــاد له دانـــــوا
تشوقت لجنـــان الخـــلد أنفسهم
فأرعدت في البطاح الحمر فرسان

ولذا جاء شعره الوطني والاسلامي مشحونا بحرارة العاطفة الايمانية مما جعل صورها تتداعى قوية حادة موحية إنها نبرة

(١) المصدر السابق ص ١٠٧

صافية وصورة مؤثرة و صرخة صادقة. وعبر عن ذلك كله في قصيدة " نذير" التي أنشدها الشاعر سنة ١٩٤٣م عندما هدأت الثورة الفلسطينية مع نشوب الحرب العالمية الثانية و شعر بأن الشكوى أكثر من العمل و التغني بالأمجاد أسلوب القاعدين، و بدأت تظهر أفكار بعيدة عن أمتنا غريبة عن عقيدتنا.

وأن الأرض التي يعيش عليها هؤلاء القاعدون ثارت في وجوههم، و تعجبت من حالهم فيقول[١] :

ما لي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا
ورجّـعت بينـــــنا صوتاً ينادينا

وفيها يقول:

هبوا سراعاً إلى حومات معتـرك
من الجهاد يـــدوي من روابينـا
هل تحسبون بأن الليل مـنعـقـد
فـنـمتم و ضللتم في دياجينـــا
الشمس وضاحة في الأفق فانتبهوا
وسارعوا فغروب الشمس داعـينا
لا تذهبوا فرص الأيام عاطـــلة
وقد أتتكم حـلاها من أمانينـــا
وحققوا أملاً في الصدر مضطرما
لولاه ما نبضت أعراقنا فـيـنـا

(١) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٢ .

ويصرخ الشاعر في وجه هؤلاء المتخاذلين والمروجين لأفكار بعيدة عن روح الأمة الإسلامية والغريبة عن عقيدتها التي لا تقبل الضيم و تأبى الهوان وترفض الذلة فيقول:

ماذا يفـــيد نواح فــوق غالــيـــة
من التراث تداعت مـــن تــداعــينا
أنتم تنوحون و الأعـــداء قد بلــغت
وجاســـت خــلال الملك تطويـــنا
شدوا العزيمة ، شقوا الدرب واخترقوا
صف العــدى عصـــبة لا تظهر لينا
عل الزمان الذي غابــت طلائعـــــه
يعود يشرق شمسا في ليــالــيــنـــا

وهذا الوهج الإيماني المنبعث من قلب الشاعر ينسج على ضوئه قصائد ديوانه "الأرض المباركة" فجاءت موشحة بالقيم الإسلامية النبيلة، وإن إشعاعات هذه القيم تخترق الحواجز والسدود وتصنع القيم في القلوب صنيع الغيث في التربة.

"استمد الشعر الإسلامي منذ شروق الدعوة ألفاظ القرآن وعباراته وأحكامه وسار الشعر، وهو أهم فنونه آنذاك ، في ركاب الزحف الإسلامي المقدس موشحا بالقيم الفكرية والفنية أو الجمالية، منطلقاً إلى غايات أسمى وأعمق من غايات الشعر الجاهلي الذي ظل أسير العصبيات و القبليات والفخر والهجاء والمديح[1]

(١) نجيب الكيلاني ، مدخل إلى الأدب الإسلامي ، كتاب الأمة ، العدد١٤، الطبعة الأولى نشر المحاكم الشرعية و الشئون الدينية بدولة قطر ص ٤١

ومن ثم جاء ديوان الأرض المباركة منطلقاً إلي غايات أسمى من الشعر الجاهلي و معظم الشعر العربي الحديث، مما يدل على عمق العقيدة الإسلامية في نفس الشعر عدنان النحوي و وضوحها، فهو ليس من أولئك الشعراء اللذين يزين لهم خيالهم الباطل حقا والسيئ حسنا فلم يتاجر بقضية وطنه، لأنه حر ومؤمن صادق الإيمان.

ولذا فقد جاء شعره يشتعل بوقد إحساسه المشبوب بحب الوطن والعروبة في سائر أقطارها وبلادها وامتلأ قلبه بحب أمته الإسلامية على امتدادها. فلم يعن في شعره بالمظاهر الفارغة الجوفاء لأنها من ضروب النفاق، لأن الإيمان والنفق لا يجتمعان في قلب المؤمن الكامل الإيمان ولكنه كان دائما يعني باللباب والصميم ولذا جاء شعره في هذا الديوان ليس فيه شيء مما تحفل به دواوين وأشعار آخرين.

ويقول عنه الأستاذ زهير الماردينى : " لقد أدركت من خلال ما قرأت من شعره أن الشاعر لم يأكل من صحن القضية ، وأنه أكبر من شعره وأنه من أهل النضال العربي والوعي الإسلامي ... وأنه فوق هذا وذاك ملتزم بقضايا بلاده، مؤمن بربه، متعلق بدينه وعقيدته وهذا كله الآن يعتبر من رابع المستحيلات إذا أضفنا إليها الغول و العنقاء و الخل الوفي"[1]

(١) زهير الماردينى ، مجلة الجديد ، العدد ٥٠٧ ، ١٩٨٧/١/١٤، " شاعر لا يأكل من صحن القضية ".

ويقرر الشاعر عدنان النحوي فيما يقرر، أن النكبة الحقة التي نزلت بفلسطين وأهلها هي نجاح الكفار – وأسفاه في زلزلة العقيدة عند كثير من أهلها ، وأن هذا هو الذي انتهى بضياع البلاد والناس، لقد أعد الكفار الخطط المحكمة لإفساد عقائد المسلمين على مراحل وفق خطة يمليها المكر الأسود والحقد الدفين وعندما نجحوا في تخريبهم الفكري استطاعوا بسهولة متناهية أن يطردونا من ديارنا أو أن يذلوا رجالنا وأن يفرقونا في هذه الدنيا تحت كل نجم فيجعلونا فقراء غرباء إذ يقول(١)

لست أبكي ترابها و مروجا نضبت أو حجارة صماء
إنما أندب العقيدة تـــذوي في نفوس تعيسة و الإباء
ما هجرنا ديارنا غير أنـــا قد هجرنا العقيدة السمحاء
لفظتنا الديار إذ ذاك لفظـــاً وأحالت كرامنا غـــرباء

وقصائد الديوان يطبعها طابع الشعور بالمأساة الفلسطينية وإدراك أن حل هذه المأساة لا يكون إلا بالإسلام و، و هذا ما يؤكد على رسوخ عقيدته و صدق إيمانه فيقول في مقدمة قصيدة "أخي" كلمات قليلة في هذه الأمة التي تمزقت كيف تتآخي و تلتقي عقيدة وجهاد سواعد و قلوب : (٢)

يا أخي هذه يدي وعـــهودي جـــــمعتنا عقيدة و دروب
لا تذرني على الطريق وحيدا فكلانا إذا فعلت غـــــريب

(١) "الأرض المباركة " ص٩٦.
(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٣

قم لنبني أمجادنا عزمـــات صادقات و هـــمة لا تخيب
يمسك العروة الوثيقة إيـــما ن ووحي من الجهاد نجـيب
حفـظ الله أمـــة تتـــآخى من بنـيـها سواعد وقـلوب

ويؤكد هذا المعنى و يردده كثيراً في قصائد ديوانه فيقول في قصيدته "فلسطين في ظلال القرآن" (١):

أمتي عودة إلى الله تحـــيي ميت الأرض والنفوس الخواء
أمتي عـــودة ترد النفـــــ س ضـــياء يمزق الظلـماء
عودة ترجع الجـــهاد وتعلي راية الحق واليقـــين علاء

وفي قصيدته "لم يبق في عرفات إلا دمعة" يخاطب أمة الإسلام بقوله : (٢)

يا أمة الإسلام قد عظم البـلا وأربد في ساحاتك الطغـيان
أفلت حبل الله و ارتخت العرى وجرت على ساحاتك القطعان
وهجرت قرآناً و ســـنة أحمد يا ويل من ينأى به الهجـران

ويواصل الشاعر التأكيد على دعواه والإصرار على أن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي وحدها التي تحل هذه المشكلة وهذا ما عبر عنه الشاعر في قصيدته "عودة لاجئ" على الرغم أنه أنشأها سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد ويقول فيها (٣):

وتطلعت و الخيام حيـــارى والجراحات حولها و الندوب

(١) المصدر السابق ، ص ٩٨
(٢) المصدر السابق ، ص ١٥٣،١٥٤
(٣) المصدر السابق ، ص ١١٢،١١٣

فإذا بالنداء صلصلة الحـــــق وأنشـــودة و لحن حبيب
من ربى مكة ترجعه الأفـــــق فتبتل من نداء القلـوب
رفعـــته مآذن و أطـــــلت بهداه مشـــارف و سهـوب
وتعالـــــت : الله أكبر يـــأوي لحمـــاها مضيع و ســروب

ومن ثم اتخذ الشاعر عدنان النحوي الإسلام قاعدة انطلاقه فجاء شعره حافلاً بالقيم الإسلامية الأصيلة، ولذا يقول عن الشاعر الإسلامي" فهو الشاعر الذي يتخذ من التصور الإسلامي قاعدة انطلاقه ويبدع لنا أدباً رائعاً قائماً على عظمة الثبات على المبدأ وليس الثورية و الانحراف"(١)

ومن هذه القيم التي حرص الشاعر على ذكرها و ترديدها كثيراً في قصائد الديوان كل ما له صلة بالجهاد و الاستشهاد في سبيل الله و التضحية والنداء والبطولة في تاريخ الإسلام ، بل كان يتردد في القصيدة الواحدة أكثر من مرة .

ومن ذلك قوله في قصيدة "نذير" : (٢)

هبوا سراعاً إلى حومات معترك من الجهـــاد يدوي من روابينا

وفيها يقول:

شدوا العزيمة وشقوا الدرب واخترقوا

صـــف العدى عصبة لا تظهروا لينا

(١) عدنان النحوي، الأدب الإسلامي إنسانيته و عالميته، دار النحوي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـــ، الرياض ص ٧٨و ما بعدها.
(٢) ديوان الأرض المباركة" ص٦١

وفي قصيدته "يا قومي" : [١]

فدونكم الأيام فاشقوا وجاهدوا فما العمر إلا أن تعاونوا وتطلبوا

وفي قصيدة "عيد فلسطين" : [٢]

إنما العيد أن تدوي السرايا وتدمي من الطعان النـــجود
أن نرى من شبابنا كل حر صاعداً للردى فذلك عيـــد

وفيها يقول:

تسمع الآنة المريرة منه وترانا يرثي الشهيد الشهيد

ثم يقول:

جمعوا أمركم و هبوا فمن جـــ ـــمع أمراً ترعى هواه الجدود

وفي قصيدة "جرحان" : [٣]

ما كنت أترك مدفعي ودمي يجري وزعزعة الجلاد نداء
والراية الحمراء خافقـــــة نصراً تضم مواكب الشهداء

وفي قصيدة "فلسطين في ظلال القرآن" يقول[٤] :

إنها يا شهيد أنفاسك الـــر يا وخفق الجراح كانت نداء

وفيها يقول:

يا شهيد اتضمه مهـــــجات وحنـــان يلقي عليك الرداء

(١) المصدر السابق ، ص٦٦
(٢) المصدر السابق ، ص٦٧:٦٩
(٣) المصدر السابق ، ص٩٠
(٤) المصدر السابق ، ص ٩٢:٩٩

يا فلسطين!كم ضممت شهيدا وربى الشام فوحت أشـــذاء
فعلى كل الربوة زهـــــرات كم حسبناك قبل ذا أشـــلاء
هكذا أمة تريد حـــــــياة فهي يرثي شهيدها الشهداء
حملت في فؤادها آية اللـــــه يقيناً و في اليدين مضاء

ثم يقول:

أمتي! هذه الشهادة والنصـــر يمد المسالك الحمـــراء

ويقول في رثاء الشهيد سيد قطب: (١)

كم مـضى فرّق له الســـــو ط ولان الحـــديد في تحنان
كم شهيد مضى فخفت له الحو ر بشرى عرائس وغوان

كما تردد في الديوان ذكر جند الله والملائكة، ونداء الله أكبر والرعيل الأول من كتائب الإسلام صحابة الرسول رضوان الله عليهم أجمعين، والنصر والصبر كقوله: (٢)

سنة الله غير أن لجند اللـــــه وعداً مصـــــدقا لا يريب
معرك ترفد الملائكة فـــــيه خاطرات طعانـــــها لا يخيب

وفيها يقول:

وجنود الرحمن يبرق منها خاطف ملهب ونصر قريب

ثم يقول(٣)

(١) المصدر السابق ، ص١٤٣
(٢) المصدر السابق ، ص١١٣:١١٤
(٣) المصدر السابق ، ص١٢١

جنود أحمد أرعدت عطافة تختال بين طوارف وتلاد

وعن جهاد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يقول: (١)

أصحاب أحمد! أين منا جولة برقت على رهج القنا الشهبان
أكتائب الرحـــمن أين رسالة فتحت قــلوب العالمين فدانوا

كما تردد على صفحات الديوان صيحات الحق ونداء الله أكبر كقوله: (٢)

وإذا الحق صيحة تتعالى وإذا الأفــق منبر الآذان
وتعالت الله أكبر في الأر ض على ربوة على شطآن

التفاؤل والأمل اللذان يملأن نفس الشاعر على الرغم من مسحة الحزن التي تبدو على قسمات صاحب الديوان وتشيع في جنبات ديوانه، لكنها لم تطغ على نظرة التفاؤل والأمل ولم تمنع ظهور العزم والثبات، ولم تطفئ حرارة الإيمان واستمرار الكفاح حتى يعود الغريب إلى دياره(٣)

لا تيأسي يانفس إن عبس الزما ن فما القنوط بمذهب البأساء
أنت العزيزة هل يرد بنظـــــرة أســد ويخدع بابتســام مرائي

ومن أهم ما يذكي في قلبه روح التفاؤل، إيمانه القوي بدينه وشعوره الجارف بعظمة الإسلام، حين تعتصم به النفوس المؤمنة، فتجد فيه الصفاء بعد الجفاء والقوة بعد الضعف والثبات بعد

(١) المصدر السابق ، ص١٥٥
(٢) المصدر السابق ، ص١٤٠
(٣) ديوان "الأرض المباركة"ص١٦٦

التخاذل، والألفة بعد الفرقة والنصر بعد الهزيمة. وهذا الشعور الديني الذي يغزو روح عدنان النحوي وفكره قديم صحب نشأته الأولى منذ كتب قصيدته"عزة الإيمان"في عام١٩٤٤م وفيها يقول:(١)

ومايئست نفسي الطموحة إذ رأت على الأفق جونا قد تعـكر جانبه
ولي همة ما فل غرب مضائها زمان إذ جارت عليه مصائبـه
فلي عـزة الإيمان أغلى مرامها جنان ! فانعم بالذي أنت طالـبـه

وهكذا تتجلى آثار الإيمان الصادق واليقين العميق في تبديد ظلام اليأس في هذا الديوان.

ثانياً: ثقافته العربية الواسعة

لقد أفاءت على عدنان النحوي ثقافته العربية الأصيلة، وتمكنه من كنوز الأدب العربي – ثروة كبيرة من جيد التعبير ورصين القول وذلك من خلال اتصاله بالشعر العربي القديم، و كان دافعه إلى هذا الاتصال شدة صلة الشاعر بالحياة، و ليكون الشاعر ممتلكا لإرادته قادرا على الانتماء إلى عالم الشعراء. وإن تعجب فان الشاعر عدنان النحوي ميدانه الدراسي ليس الأدب، بل الهندسة، وإن محاولاته في الشعر كانت منذ نعومة أظفاره، وقد نمت هذه الموهبة وصقلت وخرجت في هذا الديوان الذي هوا لأول للشاعر.

وحرص الشاعر النحوي على اعتلاء منبر الشعراء، لأن الشعر ميدان خصب يستطيع فيه الشعراء أن يبثوا من خلاله

(١) المصدر السابق ص ١٦٧

مشاعرهم، ويشحذوا مشاعر الناس وهمهم، لعلهم يعوا واقعهم و يسعون إلى التغيير.

ولإيمان الشاعر عدنان النحوي بأهمية الجهاد بالكلمة الذي يقف جنبا إلى جنب مع الجهد بالنفس و المال.

"وهناك جهاد بالكلمة يقف جنبا إلى جنب مع الجهاد بالنفس والمال...بل إن الجهاد بالكلمة "أندر" والحاجة إليه بسبب ندرته أشد؛ ذلك لأن للناس جميعاً نفوساً يمكن أن يجودوا بها إذا صحت عزائمهم، وأن لدى كثير من الناس مالا يستطيعون أن يضحوا به إذا سخت نفوسهم.

ولكن سلاح الأدب نادر و ثمين لا تملكه إلا القلة القليلة في أي مجتمع من المجتمعات ذلك لان قوامه الموهبة و الموهوبون قليل. (١)

ويكشف هذا القول عن دور الأدب وأهميته في المجتمع والمسئولية الملقاة على عاتق الأدباء" إنها مسئولية كبرى يلقيها الإسلام على عاتق الأدباء، وشارة ضخة إلى مهمة الأديب الإسلامي في بناء المجتمع، فأسلات الأقلام في هذا الدين كشفرات السيوف.. وكل أديب يستحق هذا اللقب بجدارة يقف على ثغر من ثغور الإسلام. (٢)

---

(١) د. عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، دار الأدب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م ص١٨

(٢) المرجع السابق ص١١

والأحاديث النبوية ومواقف الرسول- ﷺ - كثيرة في هذا المقام :

فعن أنس بن مالك ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : "جاهدوا المشركين بأنفسكم و أموالكم و ألسنتكم." (١)

وعن كعب بن مالك ــ ﷺ ــ انه قال للنبي ــ ﷺ ــ : إن الله تعالى قد انزل في الشعر ما أنزل . فقال النبي ــ ﷺ ــ : " إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نضح النبل "(٢)

ومما أذكى جذوة الثقافة العربية مبكراً في وجدان الشاعر عدنان النحوي نشأته في بيت علم، و لذا يمكن القول أنه نشأ نشأة علمية أدبية فاضلة، فعاش في قلب التراث العربي والإسلامي.

"صافحت عينا شاعرنا نور الوجود في بيت علم تنمي أرومته إلى عالم كانت تضاف إليه صفة علمه لرسوخه فيه حتى صارت تلك الصفة "النحوي" علماً له و لأسرته من بعده"(٣)

ومن هنا أتاحت له هذه النشأة فرصة الاتصال بكتب لتراث وبخاصة دواوين الشعر العربي، فعكف منذ شب على قراءة ما جاء فيها، يتنخلها و يعاود النظر فيها، مما جعل الرؤية الشعرية تمتح وتتناسج في ذات الصياغة.

---

(١) فيض القدير ج٣، ص١٤٣

(٢) روى في شرح السنة و في الاستيعاب لابن عبد البر، وانظر نحو مذهب إسلامي في الدب والنقد ص١٧،١٨

(٣) د. مصطفى هدارة، مقدمة ديوان "الأرض المباركة"، الطبعة الثانية، ص٢١،٢٢

بالإضافة إلى أن الشاعر النحوي يملك موهبة شعرية أصيلة.

ودراسة النحوي للهندسة لم تحل بينه و بين الشعر، فطفق يغرد في دوحته، وما فتئ أن غدا صوتا جهورياً، عندما اضطرمت أحشاء الأرض المباركة التي نشأ عليه عدنان النحوي بالثورة ضد الاستعمار الإنجليزي المتحالف مع الصهيونية العالمية، وكانت تقدم عاما بعد عام فلذات أكبادها شهداء حريتها و عروبتها و إسلامها.

"وما من شك في أن عدنان نشأ مفطورا على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحده في كل أدوار حياته، حتى عندما اتجه لدراسة الهندسة، فالشعر عنده ليس معاناة احتراف، ولا محاولة إثبات وجود في كل مناسبة تسنح و ليس مطية ذلولاً يتسلى بركوبها في رحلة الحياة. وإنما هو نبض وجدانه، ومعانة عاطفته، وفيض مشاعره و ذوب فكره، انه يسري في جسده مسرى نفسه فليس عنه غناء، و ليس منه بد"[١] .

وهذا ما أكده الشاعر عدنان النحوي في مقدمة ديوان "الأرض المباركة" بقوله : " لذلك كان الشعر بالنسبة لي خلجات تضطرب مع الإحداث وأحاسيس تنطلق على غير ميعاد على هذا لنحو من التعبير"[٢] .

ومما يؤكد عمق الثقافة العربية وأصالتها في نفس الشاعر عدنان النحوي، انه وقف شعره على النضال العربي والوعي

(١) المصدر نفسه
(٢) ديوان "الأرض المباركة" ص ١٩، ٢٠

الإسلامي، وانه فوق هذا وذاك ملتزم بقضايا بلاده، قوي الإيمان بربه، شديد التعلق بدينه وعقيدته منذ نعومة أظفاره.

وعدنان النحوي واحد من فرسان هذا الزمان حمل هموم وطنه و أمته و هموم الإنسانية و من تلك الهموم غيرته على اللغة العربية وخوفه الشديد عليها من أبنائها الذين هجروها إلى اللغات الأخرى فيقول في مقدمة ديوانه "الأرض المباركة" "ضعفت الكلمة حين ضعفت اللغة كذلك، فكم من شبابنا اليوم يحملون أعلى الشهادات العلمية لا يكادون يحسنون لغتهم كما يحسنون اللغات الأجنبية، ضعفت لديهم لغتهم وهان عليهم تاريخهم . وهم يصيحون بشعارات العروبة، و إن شئت الإسلام، حتى كان العمل لم يعد أكثر من شعار يرفع.

ضعفت الكلمة اليوم حين استسلمت على خدر الشعارات إلى طبول الغزاة ودفوف المستعمرين وأبواق المرائين. فدلف الموت يغتال يمينا و شمالا ومن كل ناحية تاريخا وأمجاداً ولغة وعتادا، ويمزق ويسحق ويخلف وراءه جثثا وجيفا..."[١]

وهذا الضعف الذي يحذر منه الشاعر عدنان النحوي أصبح لا يخفى لذي عينين فيقول ناشر ديوان الأرض المباركة" في مقدمته للطبعة الثانية: "ما كنت أظن أن هذا اللون من الشعر ما زال له أهله ورجاله ، يتذوقونه و يهتمون به ما كنت أظن ذلك، وقد راجت الدعوات بتسميته بالشعر الرجعي، وكاد ينتشر ما يسمونه بالشعر

(١) المصدر السابق ص١٥،١٦

الحر... وضعفت اللغة العربية بين الناس ، وغابت في كثير من الأحيان قوة العبارة وجمال الأسلوب ، وغابت بلاغة الشعراء الأقدمين ، ورونق البيان و التبيين ..." (١)

وها هو ذا الشاعر عدنان النحوي يطل علينا من ديوانه "الأرض المباركة" بثقافته العربية الأصيلة، وحسن بيانه يعيد للشعر العربي المعاصر قوة العبارة وجمال الأسلوب ورونق البيان ويرجعه إلى نبعه الأصيل بما امتاحه من التراث.

وحبه الشديد وعشقه لتراب وطن جعله يتمسك بلغته وغيرته على دينه و إخلاصه لعقيدته جعله يتمسك بلغة قرآنه ومن ذلك قوله في وصف حيفا: (٢)

حيفا! فـديتك ما أبهى مغانيك وكم يطيب الهوى في ظل ناديك
ما الحسن إلا كتاب أنت أسطره أو أنه قـبلة قرت على فيـك
ماأنت إلا عروس البحر من قدم علوت كـبراً فمال البحر يغريك
لم يهو غيرك من شتى عرائسه فخـف نحوك في همس يناجيك

وتبرز في هذه الأبيات حيوية الألفاظ وعذوبتها مع الحرص على سلامة اللغة و فصاحتها.

ثالثا: الوعي الشامل

من المرتكزات التي اعتمد عليها عدنان النحوي في رؤيته لديوان الأرض المباركة الوعي الشامل: والمقصود بالوعي الشامل

---

(١) المصدر نفسه
(٢) ديوان "الأرض المباركة" ص٧٣

كما يقول الأستاذ حسن بريغش: "إدراك المسلم لحقيقة الصراع بين الإسلام وأعدائه، وأبعاد هذا الصراع ووسائله، وألوانه وميادينه المختلفة مع فهم التصور الإسلامي الشامل المتكامل الذي يحدد رؤية الإنسان بشكل متوازن مع هذا الصراع مع عدم التخاذل أمام مظاهر الكيد و الخداع الجاهلي "[١] .

"وهذا الوعي الشامل هو ما يطلق عليه بعض الباحثين "التمييز" ويعده خصيصة يتميز بها الأديب الإسلامي عن سواه ويسلم بها فكره وأدبه من الاضطراب و الذوبان والسير الأعمى وراء كل ناعق"[٢]

ومن أساسات الوعي الشامل التي أقام عليها الشاعر عدنان النحوي رؤيته في ديوانه "الأرض المباركة" الوعي بالرسالة.

" ووعي الشاعر برسالته يحدد له سلفا كيفيات التعبير، أو بتعبير أحد البلاغيين القدماء، طرقه و مسالكه"[٣]

ومنذ تفجرت ينابيع الشعر على لسان الشاعر عدنان النحوي الذي تزامن مع تفجر قضية فلسطين منذ كانت تحت قبضة الانتداب البريطاني فعاش الشاعر الحدث وعايش الأحداث فلم تنقطع كتاباته

(١) محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر،مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ /١٩٨٥م ،ص ٢١.
(٢) د.عبد الرحمن العشماوي ، علاقة الأدب بشخصية الأمة ، مكتبة العبيكان بالرياض، الطبعة الأولى ،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢ ص٨٨.
(٣) د. احمد يوسف علي، الشاعر و الرسالة، دراسة نقدية عمر بهاء الدين الأميري"المختار" العدد الخامس السنة الثالثة، رمضان، ١٤١٧ و انظر تأويل مشكل القرآن ص٩٩ لإبن قتيبية.

عن فلسطين ، وما آلت إليه الأمور بعد رحيل الإنجليز واغتصاب الصهيونيين للأرض المباركة، وهي أرض تدخل في حمى الإسلام وعقيدة المسلمين وهم أولى الناس بها وبالدفاع عن تاريخها لان بها أولى القبلتين وثالث المسجدين حيث المجد الأقصى مسرى الرسول الكريم.

وقد انعكس كل ما يجري في فلسطين على صفحة فكر الشاعر الإسلامي فكان ديوانه "الأرض المباركة" ترجمة حية للتعبير عن نكبة فلسطين و نكبة شعبها وتصويرهما من سنة ١٩٤٣ حيث البدايات الأولى للازمة فكان لسانها المعبر في كل وقت و نبضها في كل دارة أو محل حتى سنة ١٩٧٨ و هي السنة التي انعقد فيها مؤتمر كامب ديفيد، المؤتمر الذي أطاح بوحدة الأمة العربية وأتى على بنيانها من القواعد و ختم الشاعر ديوانه "الأرض المباركة" بقصيدة "أسواق" التي ينكر فيها ما يحدث في هذه الأسواق الدولية التي تضطرب فيها المساومات وتهدر فيها الحقوق والمروءات وقد حملت الأمة العربية لهذه الأسواق إذ يقول: (١)

إنها أمة تبـــاع بســـــوق عفن من نخاسة و اغتـــــيال
امة ها هنا. تباع وتلقـــى هامة الذل بين خـــفق النـــعال
كل تجاره نيوب ذئـــاب وأظافير ثعلب محتـــــــــال
كل ساداته مطايا عبيـــد راضها السوط تحت شد الرحال
المروءات هاويات دوامي تحت أقدام مجـــــرم قـــــتال

(١)

ثم يتساءل في سخرية و استهزاء:

أين يا كامب هل رأيت رجالا حملت فيك خصلة من رجال؟
أين هذا السلام يضع فيه المو ت والشرك رعشـــة الإذلال؟
يا عدو السلام أي ســـــــلام ترتجيـــــه هناك : أي نوال؟

ولعل الشاعر يومئ من وراء ختام ديوانه بهذه المطولة الشعرية إلى موقفه من النزاع الصهيوني وأنه لم يحد عن الطريق الذي بدأ خطواته الأولى في مقاومة المحتل المغتصب ولم يتخل عن رسالته في الدفاع عن وطنه السليب من فوق منبر هذا الشعر الجاد، الذي يسهم في كشف الحبائل المجرمة من بيننا ويثير روح الجهاد في قلوبنا ولم تتغير نظرته نحو هذا العدو الماكر ثم يسخر من هذا المؤتمر ومن سولت لهم أنفسهم بالحضور وهذه الأفكار والمبادئ التي يبرزها الأديب في صورة كلامية بليغة لم يخرج في شكلها ومضمونها على مفاهيم الإسلام تؤكد على التزامه الإسلامي.

ويقول الدكتور عماد الدين خليل مشيرا إلى الإلتزام الإسلامي في الفنون عامة " أن يتملك الفنان – أولا تصورا شاملا تكاملاً صحيحاً للكون والحياة والإنسان، يوازيه انفتاح وجداني دائم، وتوتر نفسي لا ينضب له معين إزاء الكون و الحياة و الإنسان، ومن بعد هذا يجيء الالتزام عفويا متساوياً منساباً، علاقته بالعطاء الفني لا تقوم على العسر والتكلف والإكراه، ولا تعترف أبدا بالمدرسة الوعظية المباشرة "[1] والحياة في نظر الإسلام واسعة تتسع مع

(١) د. محمد بن سعد بن حسين، الالتزام الإسلامي في الأدب، المختار، نادي القصيم الأدبي ببريدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ و انظر في النقد الإسلامي المعاصر

تنوع الحاجات الإنسانية وكذلك لا يعجز الأدب الإسلامي عن تلبية حاجات الإنسان الطبيعية ولا عن التمثيل لصور الحياة الإنسانية المتنوعة الكثيرة

ويقول الأستاذ محمد الرابع الحسني " ولا يشعر في الأدب الإسلامي بعجز أو قصور إلا الذين يتصورون في الإسلام نفسه العجز و القصور مع أن الإسلام منه براء"[١] وعدنان النحوي منذ بدأت رحلته مع الشعر عرف دوره وحدوده في هذا الطريق الطويل، وتبين له بوضوح انه ملتزم في هذا الطريق التزام الذين بايعوا رسول الله – ﷺ – كحسان و كعب بن مالك و عبد الله بن رواحه وغيرهم من الشعراء و الخطباء من صحابة رسول الله – ﷺ – وانه أصبح في موضع التوجيه و الريادة والتأثير لأن الأديب المسلم ينبغي أن يكون أكثر المسلين التزاماً بما يعتقد فكرا واعتقادا وسلوكا وهذا ما يؤكده شعره الذي يطالعنا به الشاعر عدنان النحوي في ديوانه " الأرض المباركة " فلم نرصد في هذا الديوان تشويها في المفاهيم أو زيغا في الاعتقاد أو اهتزازا في لسلوك أو انهزاما في الضمير أو الروح وكل ما جاء في هذا الديوان يعبر عن الخط الصاعد بين مراحله الأولى وما وصل إليه في ختام ديوانه وكله ينبئ عن مواصلة طريق الكفاح والجهاد في سبيل الله وتجديد العزيمة.

(١) محمد الربع الحسني الندوي، الأدب الإسلامي و صلته بالحياة، دار الصحوة بالقاهرة' الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص١٨

وتبدأ الخيوط الأولى من رسالة الشاعر عدنان النحوي من مركز الدائرة الفلسطينية العربية الإسلامية و من صفد مسقط رأس الشاعر فيحدثنا في قصيدتين له ترويان أحداثا أليمة وقعت في صفد. الأولى تتحدث عن دار كانت لأسرته في بلدتهم فنسفها الإنجليز في خلال أعوام الثورة، وعندما عادت إليها الأسرة بعد سنوات في ١٩٤٣، وجدها الشاعر أطلالا لم يبق منها غير جدار واحد ظل شامخا لم ينهدم وكأنه رمز الإباء وعدم الخنوع والسقوط وفيه يقول الشاعر(١):

مجد تهـدم إلا حـائطا هرمـا والمجد أخلده ما عهده القـدم
وقفت استنطق الأحجار أسألـها والصخر يتـلو حديثا كله حكم
سألتها عن بلادي وهـي نـازفة عن الدماء وعن صيدا ومارسموا
قالت و روت الاصداء أوديـة والسهل والروض والساحات والقمم
في كل ناحية من أرضـنا علـم باق على صـعد الأيام يستلـم

وفيها يقول:

الجرمق اليوم عن بعد رأى و بكى
طودا أشـم يضاهيه بها الشمم
وسط المدينة دار قد زهت شـرفا
وزانها الدين و الأخلاق و الشـيم
فدا لديني و أوطاني ذهـبت فـلا
حزن عليـك ولا دمـع و لا ألم

(١) ديوان الأرض المباركة ص ٦٣

وعدنان النحوي صاحب الرسالة ومنذ سقطت داره أدرك بفراسة الإيمان خطورة الزحف الصهيوني الغادر وأخذ هاجس الشعر الذي يحيا في نبضه وعصبه ودمه يتدفق على لسانه، وأن ما كتبه من شعر في هذا الشأن ينبئ عن إحساسه البالغ العنيف وعن الطاقات الكامنة في نفسه التي تأسى وتخاف من واقع هذا الزحف الغادر على الواقع المأمول.

وأما المناسبة الثانية الأليمة التي اهتزت لها نفس الشاعر فكانت سقوط صفد في أيدي اليهود عام ١٩٤٨ م وفي هذه القصيدة تتجمع أحزان الشاعر على ما آل إليه حال العرب والمسلمين من تمزق وضياع وترسم الكارثة بكل عنفوانها في وجدانه فيبكي صفد ويبكي ضياع فلسطين كلها فيقول: (١)

دمعة حرقت من الأجفان وزفير تبثه الشفتان
وفؤاد يثور كالبركان ونداء يضج في الآذان
صفد! حدثي بغير لسان
كيف تهوى معاقل الأبطال وتموت الرجال دون قتال
لا ضحايا هوت على الأطلال أو دماء ذكية في الجبال
فجرت نبعه من الإيمان

ويشتعل شعره لظى يؤجج المشاعر فيصرخ و هو يرى أهله ينزحون و يكرهون على ترك ديارهم التي يدمرها العدو و لا يبالي

(١) المصدر السابق ص ٨٥

بنواح رضيع ولا أنين ضعيف ولا ترويع عجوز ولا بحال طريح بين الأودية والهضاب فيقول: (١)

أنزوح ! يا ويحهم أنزوح ورضيع على الأكف ينوح
يبتغي قطرة و ذاك جريح وعجوز مروع و طريـــح

ويقول عدنان النحوي في مقدمة ديوانه عن فاجعة النزوح : "وكانت فاجعة النزوح بكل مآسيها ودموعها ودمائها، ودفعتنا هذه الفاجعة لنلتقي من جديد وتلتقي الأمة كلها مع أحداث جسام، وصراع باق ما بقيت الحياة، حتى تقع جولة الحق وينتصر فيها الإيمان و تعلو كلمة الله". (٢)

ويكشف لشاعر عن صور التنكيل والانتهاكات الفظيعة التي ارتكبها الصهاينة في حق بناء وطنه، وهم يطردون من ديارهم، فلا يراعوا حرمة لمقدسات ولا صوناً للأعراض والحرمات فيقول: (٣)

مصحف مزقته أيدي البغاة و أهانوا مرابع المكرمات
ورضيع يناش بين كمـــــاة و استهانوا بعــزة الفتيات
أي هون بعد ذاك الهوان

وهذه الأهوال لم تفت في عضد الشاعر، ولم تضعف من عزيمته، ولم تهن من مضيه في ساحات الجهاد، ومقاومة هذا العدو المغتصب فيصرخ لبني قومه بالكف عن الشعارات فيقول: (١)

---

(١) المصدر السابق ص ٨٦
(٢) المصدر السابق ص ٨٦
(٣) ديوان "الأرض المباركة"، الطبعة الأولى ص ١٩، ٢٠

هذه بلدتي تعالى نداهـــــــا صرخة رددت وهذى صداها
وفلسطين روعت من رداهـــا كلنا! كلنا فداها فداهـــــــا
اخرسوا لن يفيد رجع ألحان
أفلسطين هل جفاك بـــنوك؟ حملاً للذئاب هـــل تركوك
في غمار الجهاد هل خذلوك حـــــدثي إنما أولئك فوك
ناطق في ربى وفي وديان

وتمتد صفحات هذه الرسالة التي انطلقت خيوطها الأولى من صفد ثم تتداح لتتسع شيئاً فشيئا، لتضم فلسطين كلها، ثم العالم العربي بأسره، ثم العالم الإسلامي الرحيب بأمسه وحاضره وغده.

وفي قصيدته عيد فلسطين" التي نظمها في عام ١٩٤٥م كانت للشاعر وقفة حينما تذكر الأعياد التي سبقته، ومع كل عيد مضى كان له أمل ورجاء حتى كان هذا العيد فهاجت في نفسه الذكريات، وتحركت الشجون، واغتالت هذه الشجون فرحة العيد ولم ينعم الشاعر ولا بنو وطنه المشردين بمجيء هذا العيد وتطفو على سطح هذه الذكريات قصيدة المتنبي الشهيرة التي مطلعها: (٢)

عيد بأي حالٍ عدت ياعيد بما مضى أم لأمر فيك جديد؟

فنظم الشاعر النحوي قصيدته "عيد في فلسطين" على البحر نفسه والقافية نفسها وجعل مطلعها: (٣)

---

(١) المصدر السابق ص ٨٧
(٢) ديوان المتنبي ط١ ،ص٤٢٧ شرح عبد الرحمن البرقوقي، مكتبة نزار الباز، الرياض ١٤٢٢هـ /٢٠٠٢ م .
(٣) ديوان الأرض المباركة ص٦٧.

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء و الترديد

ويقع الشاعر تحت تأثير شاعر العروبة المتنبي، فتبدو رنة التشاؤم بصورة أوضح في القصيدة الثانية "ما العيد إلا لحر لم يهن أبداً" حاكاه فيها في الوزن و الأسلوب و مطلع القصيدة : (١)

هل عدت بالأمل المحبوب يا عيد

عود سعيد فهل في العود تجـــد

ما زلت أرجع لذكرى فتؤلمـــني

وفي التذكير تعذيب وتسهـــيد

وتحتل فلسطين سواء في القصائد الخاصة بها، أو في القصائد الأخرى نصيباً كبيراً، وليس ذلك بعجيب. فلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل عربي . (٢)

وبحلول عام النكبة ١٩٤٨م ترتسم الكارثة بكل عنفوانها في وجدان الشاعر عدنان النحوي وفي فكره، فيبكي سقوط صفد وضياع فلسطين، ويبكي شهداء الكفاح الذين سقطوا في أرض المعركة كالشهيد عبد القادر الحسيني بطل قسطل فيقول : (٣)

عاد الهزبر فما للقلب يضطـــرب

وللعيون وهـــذا الدمـــع ينســكب

---

(١) المصدر السابق ص ٧٣.
(٢) مقدمة الديوان ص ٣٩ للأستاذ عبد الحميد القباني .
(٣) ديوان الأرض المباركة ص٧٧ .

جاء البشـــير إليـــنا والنعي معا
كلاهما خفقة: فالنصـــر والحرب
لم يقبل القلب غير البشـــر من خبر
ولم ير النعي إلا و هو يقتـــــرب
قالوا:الرصاص يحيي بشر عودتـــه
وهذه القدس خفت نحـــوه تـــثب
على الأكف مسجى في مهابتـــــه
وحوله ثلـــة أو فتيـــة نجـــب
لم يعلم الناس هل حي يقودهـــــم
إلى المعارك؟ أم موت ومحـــترب

ولا ترقأ دموع الشاعر ولا تكف جراحه الناغرة عن النزف بعد تاريخ النكبة حتى اليوم كما يتمثل ذلك في قصيدته "جرحان" التي كتب بعضها في عام١٩٤٩. وبعضها الآخر في عام ١٩٦٤م، والجراح هي الجراح، واللوعة لا تزال مشبوبة الأوار، بل نجده في عام ١٩٧٤م يكتب "عودة لاجئ" بقلم يتنزى ألماً و وجدان يقطر دما فيقول : [١]

أنا يا أخت ضائع لســـت أدري
أين قومي وأي أرض أجـــوب
في ضلوعي أسى وفي العين دمع
يتنزى وفي الفـــؤاد نـــــدوب

(١) المصدر السابق ص ١٠٨.

وعلى الوجه بسمة ظللـــتهـــــا
غبرة الموت واعتلاها شـــــحوب

ودبيب الأيام ينـــــزع مـــــــني
نفسا خافقاً و روحاً يغيـــــــــب

والشاعر ماض في دفاعه و كفاحه عن وطنه السليب ، و لكنه يخشى دبيب الأيام و كر الزمان أن ينتزعا ما تبقى من سلاح يدافع به عن قضيته صوته على الرغم من خطوته و روحه المليئة بحب وطنه فيدعو قومه و يحثهم أن لا يركنوا إلى الكسل ولا يتقاعسوا عن مقاومة المحتل المغتصب فيخاطبهم قائلا: (١)

فيا قومي استولى النعـــــاس عليكم
وغيركم بالدهر يشـــقى ويتعـــــب

فنالوا منالا قد رواه جبينهـــــــــم
وأسسه عزم شـــديد مـــــــــذرب

وأنـــتم أقمتم في خباء من الكـــرى
وقامت بنات الدهر تبكي وتنـــــدب

ولم تنهضوا حين استفز شعوركـــم
ونبهكم هذا العـــدو المجـــــــرب

وفيها يحذرهم الشاعر من التحزب والتشرذم والفرقة، ويحضهم على طلب الرفعة وتحقيق أسمى الغايات:

---

(١) المصدر السابق ص ٦٥.

أرى ليد الأحزاب فيكم مضاربا
وأيدي الوئام الحـــر تشـــذب
فهذا سنام الدهر صعب ركابـــه
وكل عظيم إن أردت سيقـــرب
كذاك من رام المعالي مكانـــة
فصعب المطايا والمسالك يركب
فدونكم الأيام فاشقوا وجاهـــدوا
فما العمر إلا أن تعانوا وتطلبوا

ويختم الشاعر قصيدته بما بدأ به بالحث على الاستيقاظ وطرح الكسل واغتنام الفرصة ، لأن الفرص تغدو وتعدو سريعة.

بني وطني هبوا فقد طال نومـــكم
وباتت عليكم فرصة الدهر تغرب
ألا فرص تغدو وتعدو سريعـــة
ولست تنال اليوم ما كنت توهـــب

وفي قصيدة "وطن يضيع" يصور عدنان النحوي الواقع المؤلم الذي كشرت فيه المصائب عن نابها، فيطلق الوطن المنكوب استغاثته، فإذا الذي استجاب لصرخاته فاتك قاس، ويلتفت الشاعر على هذا الواقع الأليم المر ليتساءل : أين نخوة العروبة ؟ أين حمية المسلم؟ أين كتائب الإيمان ونداؤها الحلو الله أكبر؟ أين تلك الكتائب تغيث وطني المسلم وتأسو جراح أهله المنكوبين؟ أين الكتائب التي تحرص على الفوز بإحدى الحسنيين؟ فيقول: [1]

(١) المصدر السابق ص ٨٣.

وطني ذكرتك والمصائب كشرت عن نابها واحمر فيها المخلب
فصرخت مكلوماً: أما من منجد يحنو عليّ ومسعف لا يرهب
أين الحمية إذ رآك ممـــزقـــاً إربا و عرضك مستباح يثلب
أين الكتائب أقبلت و نداؤهـــا الله أكبـــر! والـــردى يترقب
ومضوا لإحدى الحسنيين يشدهم شوق إلى دار الخلود ويجذب

وفي مطولته "فلسطين في ظلال لقرآن يبدأ الشاعر بالتساؤل "أي" وهذا التساؤل يبعث في القارئ والسامع لهذا الشعر التعاطف والتجاوب مع السائل، لأن هذه الأسئلة نتيجة معاناة شعرية عميقة تجد متنفساً لها في هذا اللباس البلاغي المنطوي على الحيرة ومحاولة لفهم هذه المعاناة لتجاوزها فيقول[١]

أي فجر على الربى بعـــــ ث النور وألقى نســـائما ورواء
أي ماء على الربى سكبتـــه نبعات أحيـــت منى ورجـــاء
أي روح خفاقة من ربى الجر مق أهدت لقاســـيون الوفـــاء

ولا ينسى الشاعر وهو يطوف في ربوع فلسطين "صفد" ، مهد طفولته و مرتع صباه فيقول: [٢]

صفد مهجة الحـــياة عروس تتجلى جواهر و ثـــناء
أين مني ذراك يا جبل الكرمـــ ـل قمت تستنهض الأبناء
وظـــلال من الصـــنوبر ألقت في ربـــاه غلالة ســـمراء

(١) المصدر السابق ص٩٢.
(٢) المصدر السابق ص٩٥.

وفي هذه المطولة يتنقل الشاع في أرجاء فلسطين فيحدثنا عن يافا والقدس وغزه والخليل وعكا فيقول[١]

أين يافا يضمها شاطئ البحـ ـر حنانا و رقة وغنـاء
كلما ضمها الدجى تتراخـى بحلاه نجومها الزهـراء
إيه يا قدس! مهبط الوحي!هبي نفحات وأشـرقي أضـواء
والنبوات في رحابك تسـعى وهي تتلوا آياتها العصـماء
والنبي العظيم يعـرج منها قبساً يملا الزمـان ضيـاء
أين يا غزة الجهاد أطـلي أين ألقى الخليل أو عـكاء

ويختتم الشاعرقصيدته عن مكانة فلسطين ومنزلتها لا عند أبناء وطنها فحسب وإنما عند أمة الإسلام بحديث القرآن الكريم وتكراره عن الأرض المباركة فيقول: [٢]

يا فلسطين!كم ضممت شهيدا وربى الشام فوحت أشـذاء
فعلى الربـوة زهـرات كم حسبنك قبل ذا أشـلاء
هكذا أمة تريد حيـاة فهي يرثي شـهيدها الشهداء
حملت في فؤادها آية اللـه يقيناً وفي اليدين مضـاء
ومضت تدفع الكتائب للمجـ ـد وتعلي راياتها إعـلاء
في ظلال القرآن يهدرزحف ملأ الأرض واستظل السـماء
أمتي! هذه الشهادة والنصـ ـر يمد المسـالك الحمراء

(١) المصدر السابق ص٩٦.
(٢) المصدر السابق ص ٩٩،١٠٠.

وفي قصيدته "دمعة على رجل" التي يرثي فيها مفتي فلسطين وقائدها الحاج محمد أمين الحسيني لا يسلوا فلسطين ولا يمل الحديث عنها فيكرر ذكرها في هذه القصيدة فيقول: (١)

هذى فلسطين كم حنت مرابعـــها
إلى إبنها البر يذكر الشوق حرمان
كم هاجهـــا الشوق للقيا تراجعه
على الربى زقزقات الطير و البان

وفيها يقول:

واها فلسطين! تدميك الجراح أسى
ويدفع الدمع في العين هـــجران
تناوشتها ذئاب الحي عاويـــــة
وأطـبقت فوقها رخـــم وعـقبان
ربى الخليل تنادي و هي نازفـــة
والمنبر الحـر قد ناشـــته نيران
وصعد الكرمل المحزون صرخته
وردد الصرخـات الحمر كنـعان
نادت وقد ردد الأصداء أوديـــة
أبا صلاح ! طغى زيف وعـدوان
تكاد تنهض كي تمضي لـمعركة
ويحتويك من الســـاحات مـيدان

(١) المصدر السابق ص١٠٢،١٠٦.

ما كنت تترك ميدان الـقنا وهـــنا
لكنـــــه قـــــدر يمضيه رحمان

وانشغال الشاعر بمأساة فلسطين لم ينسه معاناته لأحداث الوطن العربي وقد حفلت قصائد الديوان بشواهد عديدة تتحدث عن هموم الأمة العربية من تمزق واحتلال وكبت وإرهاق وعنت وأحداث لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى ولقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلدان وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافا امتلأت نفوسهم بالعزة فشرعت تلاحقهم أطياف سود من ذلك العهد لا تفتأ ترسم أمام أعينهم أعواد المشانق التي ارتقى إليها غير قليل ممن وخزتهم شوكة الحرية و كان ان نظم ١٩٧٢م قصيدة بالغة الأسى والشجن تقع في اثنين وسبعين بيتا يرثي فيها المفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب فيقول فيها: (١)

إنه خفقة اليقـين أمـــانـــ ـــي جهاد نســـــائم القرآن
هب كالليث والدياجير حمقى جامحات مفلوتة الأرســـان
لججا من نوازع الشر ســـودا مثقـلات هدرن بالحـــدثان
تنزع الناس والخلائق حيرى تائهات الأبصـــار والآذان
كتل! كالعبيد ينهبها الســـو جنونا تساق كالـــقطعان

حقا إنه اليقين الذي ملأ نفس المرحوم الشهيد سيد قطب فهب كالليث فلم ترهبه حماقة الدياجير ونوازع الشر الأسود التي عمت الناس جميعا فباتوا حيارى كالعبيد لا يملكون من أمرهم شيئاً تلهبهم

(١) ديوان "الأرض المباركة" ص ١٣٨.

السياط من خلفهم و يساقون كالأنعام ولكن الشهيد سيد قطب لم تقبل نفسه الأبية هذا الهوان وتعالت روحه عن الدنية وغدا علماً شامخاً كالشمس في العلو وكالقمر في اللمعان ومضى إلى ربه شهيدا وترك من خلفه جلاده الجبان تمتلئ نفسه بالحقد و باؤوا بالخسران وبالرغم من التعذيب المتعدد الألوان ظل حراً أبيا ومن حوله عصابة العبدان فيقول[1]

إيه يا سيـد حملت إلى الـــــ ـــناس سلاما وروعـة من بيان

ثم يقول:

ملكت القلوب في صدقك الحـ ـــر وهيجت حقد كل جبـــان
ورآك الكفار طودا شـــموخا ورأوا كيـدهم مضـى لهـوان
نفسك الحرة الأبـية عافـــت ما اسألوه من رخيص فـــان
وتعاليت عن الـدنية كالشمـ ـــس علواً كالنور في اللـمعان
هاج بالحقد من بطولتك العبـ ـــد وثارت عواصـــف الشنآن
جعلوها على يديك حـــديدا وأحاطـوك بالقنـــا والسـنان
وأقاموا عليك من ظلمة الليـــ ـــل سـجوناً مخنوقة الجدران
وسياطاً تهز من محصـــدات هاويات كالشـهب كالنيـــران
فإذا أنت بينهم سيـــــد حر حواليـك عصبة العبـــدان
وتلفت هازئاً و تـــــهاوت تحت عينيك ســـطوة السلطان

وتتزاحم هموم الأمة العربية على قلب الشاعر عدنان النحوي وبنعي تفرقها وتشتت شملها وهي الأمة التي تنعم بروابط قوية

(١) المصدر السابق ص ١٤٠،١٤١.

تدعوها إلى الوحدة ونبذ الفرقة وتاريخها ملئ بالشواهد التي نعمت فيها بظلال الوحدة فيقول: (١)

حينما جمع العروبة ديـــــن وديار، فـذاك ثمة عيـــد
هي ذكرى ما بين أندلس والشـر ق قد تم أمـرها المشـــهود
أمـــة الحـــق! مـا وأوهى جمعك الصدع واستتب الجمود

ويؤكد على دعائم وحدة الأمة التي يشيد عليها هذه الوحدة وفي مقدمتها التمسك بالدين فيقول في قصيدته " ما العيد إلا لحر لم يهن أبدا" : (٢)

ما العيد إلا إذا قامت دعائمـنا وفوقها عـلم للديـن معقـود
ما العيد إلا لحرٍ لم يهـن أبدا ولا بدا وهو في الأغلال مصفود
أيام هارون تدعـونى فأندبها وأشتكي كيف أن الوصل محدود
حدائق الشام والفسطاط أغنية وأرض أندلـس ذكرى ومجيـد

ويزداد أسى الشاعر ويشتد أسفه على حال الأمة التي انفرطت حبات عقدها فيقول: (٣)

عجباً كيف قطعت أمة العـــر ب وكانت عقـــيدة و إخاء
عجباً! كيف زلزلت أسس الدا ر وهبت ريـــاح هوجاء
أفلتت حبلها المتين و أرخـــت من عراها و بـــدلت أهواء
وتدنت لتعرق العظم من كفـــ ـف غريب يلقي به إلـــقاء

(١) ديوان "الأرض المباركة" ص ٦٨.
(٢) المصدر السابق ص ٧٢،٧١.
(٣) المصد المصدر السابق ص ٩٨،٩٧.

ومضت تطلب الحياة بجيـــفا ت ونتن ذليـــلة بلهـــاء
ذل من يطلب الحياة من الخصـــ ـم و يرضى من كفه إعطـاء
فئة من بني العروبة ضلـــت وتمـادوا بغـيهم جـــبناء

وكانت من نتيجة هذا التمزق والفرقة التي شغلوا بها ما حدث لفلسطين و شعبها فيقول :

وفلسطين لم تعد غير لفظ لم تجاوز شفاهها الخرساء

وبالرغم من تلك المحاولات اليائسة التي يسعى إليها أعداء الأمة لتمزيق وحدتها و تفريق كلمتها، يهتف بالإخوة لما في هذا الإحساس لدى الشاعر بمعنى الجماعة و التآخي فيقول[1] (٤)

أخي لا تبالي إذا افـترقـنا يجمع من أمـــرنا الرائد
فلسنا على البعد إلا جناحيـ ـن مـدا و خفقهـما واحد
يمد الليلي بنـور الهـدى إذا جال فيها الفتـى الماجـد
ويمضي سـنا برقه خاطفـاً ليرتاع مـن بـرقه الحاقـد

وتمتلئ نفس الشاعر بهذا الإحساس الجمعي والرباط الأخوي القوي و يشرع في ذكر هذا الرباط فيقول :[2]

أخي لا تبـالي إذا افترقـنا هناك سنلقى الرضى والحنان
على أفق مشـرق بالدمـا وفجر عقدنا عليـه السـنان
أخي إن عدا الظـلم في دربنا هنالك ميداننا الأوسـع
لنا عروة لا انفصـام لـها وحبـل مـن الله لا يقـطع

(١) المصدر السابق ص ١٢٤.
(٢) المصدر نفسه ص ١٢٣.

ويكثر الشاعر من الحديث عن هذه المقومات وفي مقدمتها رباط الإيمان و الوحدة و الجهاد فيقول: (١)

يا أخـــي هذه يدي وعهودي جمعتنا عقيـــدة ودروب
لا تذرني على الطريق وحيدا فكلنا، إذا فعلـــت ، غريب
قم لنبي أمجادنا عـــزمات صـــادقات وهمة لا تخيب
يمسك العروة الوثيقة إيـــما ن ووحي من الجهاد نجيب
حفـــظ الله أمـــة تتـــآخى من بنيها سواعد وقلـــوب

ودائماً الشاعر عدنان النحوي يهتف بهذه الأخوة التي توثقت بينهم عرى الإيمان و وحدت صفوفهم غاية واحدة هي الاستشهاد في سبيل الله دفاعاً عن الأوطان المسلمة التي يتهددها عدو ماكر ، يتربص بها الدوائر، والمسلم الصادق هو المؤهل لحمل هذه الأمانة لأنه موصول القوة بربه سبحانه وتعالى فيقول : (٢)

أخي دربنا الشوك كم من شهيد تردّى عليـــه واستلـــــــما
وليل بهـــيم نثرنـــا عليـــه لـــــدى الروع قطر الدما أنجما
دعـــاة إلى الله لا ننثـــــني وقلبـــــا إلى الله قد أسلمـــا
تهـــب الروائح من جـــــنة ليعبق منهـــما زكي الشَّمـــا

وكل هذا يدل على مدى إحساس الشاعر النحوي بالأخوة العربية فيشد من أزر المناضلين بروح المجاهد المتفائل المؤمن برسالته.

(١) المصدر السابق ص١٢٤ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٨:١٢٩ .

تلك هي الموضوعات الرئيسية في ديوان "الأرض المباركة" إلى جانب شعره الذاتي الذي يعبر فيه أجمل تعبير وأدقه عن نفسه، وهي تبين بجلاء أنه شاعر ملتزم صاحب رسالة لا يتخلى عنها في أي دور من أدوار حياته الشعرية التي تمتد في هذا الديوان ثلاثا وثلاثين سنة

فالشاعر عدنان النحوي وهو يخوض تجربة الحياة يحمل راية العقيدة دوما يحملها في ثنايا الأفكار التي يطرحها في قصائده وفي روح العاطفة التي تسري في القصائد وفي حنايا الصور التي يرسمها وهو الرجل المتماسك بين عواطفه الذاتية وهموم الحياة التي تواجه جيله وأمته كلها.

وتعد قصيدته " لم يبق في عرفات إلا دمعة " من أروع ما في الديوان وإن كان كل ما فيه رائعا، بدأ الشاعر القصيدة بمناجاة أرض الحرم بوصفه ومباركته، ويتألم على حاضر المسلمين فيسأل الصين عن محمد بن القاسم ويسأل السند عن الفاتحين ويسأل دار السلام وتونس والمغرب وباقي الدول العربية ... ويفرد للأقصى جزءا من القصيدة ويقرن بينه وبين مكة في قوله : (١)

وتلفت الأقصى لمكة لوعـــــة أختاه! تنهش أضلـــعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغثاء؟ أماتـــــوا؟
أختاه! وانقطعت حبال نـــدائه واغرورقت من دمعـــه الأجفان
وهوت معاول كي تدق حياضه وهـــوت على أمجاده الجدران

(١) الديوان ص ١٥٠ .

وهذه المرتكزات الأساسية التي تكشفت لي من خلال رؤيتي لديوان " الأرض المباركة " للشاعر عدنان النحوي، الذي يفيض بعفوية الإحساس وصدق العاطفة، ويسمو بالروح، ويغمر الوجدان النابع من تربة نفسية عميقة يصور فيها مأساة الشعب الفلسطيني الذي اغتصبت أرضه و شرد من وطنه، وقد احتوت قصائد ديوان " الأرض المباركة " على العناصر التي يحتوي عليها العمل الأدبي اللازمة لتكوينه والملائمة لإنجاحه وهي التي تمثل عناصر التشكيل الجمالي في هذا الديوان.

ثانياً: التشكيل الجمالي و عناصره

"والشكل في النقد المعاصر قد اختلف عليه: فبعضهم يرى أن الشكل هو ما في العمل الأدبي من ترابط وثيق، وما فيه من اتزان وانسجام وإيقاع وتدرج وتطور، وبعضهم يضم إلى هذه العناصر الشكلية الموضوع، ويرى أن أصول الشكل هي:الوحدة العضوية"(١)

وقيل:" هو كل ما يتصل بالعنصر الشعري الغنائي في القصيدة وصياغته وأسلوب تصويره"(٢)

ومما لا شك فيه أن شاعرية النحوي مكنته من التعبير في ديوانه "الأرض المباركة" بكثير من السهولة فرسم بكلماته ما يجري

(١) مصطفى بدد اللطيف السحرتي، النقد الأدبي من خلال تجاربي، ص٦٠ وانظر الأصالة و التجديد في روائع الشعر العربي ص٩. عبد المنعم خفاجي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٩.

(٢) د. محمد زكي عشماوي، قضايا النقد الأدبي، ص٢٢، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤.

حوله من الأحداث، وما يضطرم في نفسه من مشاعر إزاء هذه الأحداث في تصوير فني بارع تلون فيه الأسلوب بما يلائم المعنى، وهذا الأسلوب مستمد من تراث أمته العربية والإسلامية، ومستوحى من تأثره بما حوله من صور وألوان تغلغلت في دم الشاعر النحوي، من مستهل طفولته، و أثرت في ذهنه و خياله وتأملاته، فجاء الديوان نبضات قلب وخفقات فؤاد وخلجات نفس وحديث روح ولواعج مهموم وأنات محزون، أنفة عزيز وأناة مؤمن واثق وطمأنينة أمل في انتصار الحق وعدالة السماء في صياغة عربية فصحى، فجاء الديوان غاية في روعة البناء، وصحة الأداء، وشدة لتأثير وصدق اللهجة، لأن شعر قصائده ينبع من صميم وجدان قائله، ومن أعماق ذهنه، وهذا كله أسهم في تشكيل العناصر الجمالية التي نتناولها بالدراسة من خلال ديوان "الأرض المباركة". وعناصر القصيدة عند القدماء هي: اللفظ والمعنى والوزن والقافية، وعند المعاصرين تتمثل في التجربة الشعرية، والموسيقى والخيال والصورة الشعرية ووحدة بناء القصيدة والفكرة أو المضمون"[1] . وتتعرض هذه الدراسة لعناصر القصيدة في ديوان الأرض المباركة عند المعاصرين على النحو التالي:

١- وحدة القصيدة

"بالرجوع إلى التراث النقدي عند العرب تطالعنا النصوص العديدة التي عن ترابط القصيدة وقوة تألفها وتلاحم أجزائها واتصال

(١) الأصالة والتجديد في الشعر العربي ص٨، عبد المنعم خفاجي، مكتبة الأنجلو ١٩٨٢م

أفكارها مما يجعل القارئ يشعر شعورا قويا بوعي النقاد بضرورة مراعاة الوحدة في بناء القصيدة "[١]

وفي العصر الحاضر تبلور مفهوم الوحدة عند العقاد والمازني في كتاب الديوان في النقد والأدب : إلى أن القصيدة ينبغي أن تكون عملا فنياً يكمل فيه تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه، والصورة بأجزائها، واللحن الموسيقي بأنغامه"[٢]

وعند النظر في قصائد ديوان "الأرض المباركة " في ضوء ما تراءى للنقاد في القديم والحديث عن وحدة القصيدة، نجد أن الشاعر عدنان النحوي حقق الوحدة الموضوعية في قصائد هذا الديوان، أي أن القصيدة ذات موضوع واحد لا تجاوزه إلى غيره، وأما ما نادى به العقاد وغيره من الداعين إلى الوحدة الموضوعية في القصيدة، فهذه الوحدة ليس مضمارها الشعر الغنائي، وهذا لشعر ليس بحاجة إليها يقول الدكتور عبد الرحمن عثمان:" إن الوحدة العضوية غريبة على القصيدة العربية و لا تتفق و طبيعة الشعر الغنائي"[٣] .

---

(١) لمزيد من التفصيل يراجع البيان و التبيين ج١ ص٦٧ للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي. الشعر والشعراء ج١ ص٩٠ لابن قتيبة تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف. الوساطة للقاضي الجرجاني ، تحقيق هاشم الشاذلي ، دار الإحياء ، عياد الشعر ص٢١٣ لابن طباطبا تحقيق عبد لعزيز المانع ، مكتبة الخانجي، مصر، حلية المحاضرة للحاتمي للورقة الورقة ٢٠، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص٢٥٧ د. إحسان عباس ، دار الثقافة ببيروت.

(٢) الديوان النقد و الأدب ص١٣٠، دار الشعب ١٩٦٦م.

(٣) مذاهب النقد و قضاياه ١٦٥، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ.

ويقول أيضا: " والغريب ... أننا لم نلمس هذه النزعة الخبيثة إلا في مطالع هذا القرن ، حيــن اشتد الاتصال بين أوربا والشرق، وحين اتجه الشباب العربي إلى الآداب الغربية"(١)

ويتساءل الدكتور محمد نايل : "ولست افهم لما يخالف هذا النقد الحديث أرسطو، ويضع الشعر الغنائي تحت ثقل هذه الوحدة العضوية ؟ بينما أعفاه أرسطو من هذا الثقل وقيوده" (٢) . ويقول أيضا إن القصيدة في الشعر الغنائي لا ينبغي أن تدعى لهذه الوحدة التي يفرضها عليها هؤلاء العضويون ، وإذا كان هذا الشعر الغنائي- كما يقولون- هو تصوير مشاعر الإنسان نحو الطبيعة ومجاليها، والحياة و أسرارها، والأيام و إحداثها، والمجتمعات وأحوالها، فان شيئا من ذلك لا يعرف قانون الوحدة العضوية حتى نلزم هذا الشعر بمحاكاة شيء غير موجود"(٣).

ويقول الدكتور محمد مندور عن الوحدة العضوية"... وهي دعوة سليمة ناحية الفلسفة الجمالية، ولكنها لا تكاد تتصور في الشعر الغنائي الخالص الذي يقوم على تداعي المشاعر والخواطر في غير نسق وضعي محدد، وإنما نتصور هذه الوحدة العضوية في القصائد ذات الموضوع الذي له بدء ووسط ونهاية"(٤) .

---

(١) المرجع السابق ص١٦٠.
(٢) اتجاهات و آراء في النقد العربي الحديث ص٥٢.
(٣) المرجع السابق ص ٥٤،٥٥.
(٤) محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، دار نهضة مصر .

ولا شك في أن الذين يدعون إلى الوحدة العضوية في الشعر الغنائي وينادون بتطبيقها على القصيدة العربية و يحتكمون إليها في الحكم على شعر الشاعر- متأثرون بنظرة أرسطو إلى وحدة الملحمة و المسرحية. ولا يعني طرح هذه الوحدة من الشعر الغنائي خلو القصيدة من ترابط الأجزاء وإحكام الصلة بينها، وهذا يتحقق من خلال وحدة الموضوع ووحدة الفكرة فيه، ووحدة المشاعر التي تنبعث منه، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئاً، حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور"[١] .

وقد روج المستشرقون هذه الفكرة عن انعدام الوحدة في الشعر العربي، ثم تابعهم فيها الكثيرون من الدارسين العرب، حتى أوشكت أن تصبح قضية مسلما بها"[٢] .

ومن خلال الرؤية التي تناولت نماذج وصور من قصائد ديوان "الأرض المباركة" كشفت عن الارتباط الذي يسود بين كل أبيات القصيدة واتصال معانيها ، ليس فيها قط تفكك أو تباعد بين أبياتها ومعانيها، وهذا ينبئ عن وحدة القصيدة في كل صورها النفسية و الموضوعية التي تجعل من القصيدة بنية فنية مترابطة تدور حول محور واحد.

---

(١) د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص٣٧٣، دار العودة ، بيروت، ١٩٨٧م.

(٢) د. عبد الحليم حفني، معلقة امرئ القيس في ضوء جديد ص٨٤، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م.

وحرص الشاعر عدنان النحوي على وضع عنوان لكل قصيدة من قصائد ديوانه يدل على وجود وحدة موضوعية، وعلى محور واحد تدور حوله و هذا- في حد ذاته- يعد تطورا هاما في بناء القصيدة الواحدة وتتعانق أجزاؤها ولا يؤثر على وحدتها.

ونرى ذلك بوضوح في بعض قصائد الديوان مثل: "فلسطين في ظلال القرآن" وقصيدة "لم يبق في عرفات إلا دمعة" وهذه القصيدة من أطول قصائد الديوان بدأها الشاعر بمناجاة أرض الحرم ووصفه و مباركته.

والذكريات تطوف بالشاعر، يعود إلى الماضي أشبه بما يعرف بالاسترجاع من قبل التداعي الوجداني فيتألم على حاضر المسلمين، فيسأل الصين عن فاتحها محمد بن القاسم، ويسأل السند عن الفاتحين، ويسأل دار السلام وتونس والمغرب وباقي الدول العربية، ويربط بين التفاتة الأندلس إلى الشرق ويخشى أن يلقى الأقصى وأرض فلسطين هذا المصير، ويناشد أصحاب النبي ﷺ جيشان عاطفي عبر عنه بالنداء و الاستفهام التعجبي الإنكاري في قوله: "أصحاب أحمد أين منا جولة؟ "، "أكتائب الرحمان ، أين رسالة فتحت قلوب العالمين فدانوا؟"...إلخ. و القصيدة عددها مائة وثمانية وعشرون بيتا وينظم الشاعر هذه الأفكار والمعاني ، ويبسطها على طول امتداد هذه المطولة بلا انفصام في الحقيقة بين أجزائها، وقد صدر كل هذا عن حب كبير لأمته الإسلامية والعربية ولوطنه فلسطين وعنوان القصيدة يطلق فيض الدلالة لتغمر ذهن

ووجدان المتلقي وقد بدأها بمناجاة أرض الحرم مهبط الوحي كشف فيها عن منزلة و مكانة هذه الأرض المقدسة حيث يقول: (١)

يا دار ما بك؟ هزك الحرمان وعراك من ذكرى الشهيد جنان

ثم يقول(٢):

أنا مهبط الوحي الكريم وساحة الـ مسرى العظيم آية وجنـان
حرم يباركه الإله: رحيـقه تغنى به الذروات والوديـان
حرم تحـن له القلوب ويرتوي عند اللقاء وخفقة الظـمآن

وتطوف الذكريات بالشاعر فيعود إلى الماضي ، ويتألم على حاضر المسلمين، فيسأل الصين ويسأل السند ، ويسأل دار السلام وسائر الدول التي فتحها المسلمون الأوائل فيقول: (٣)

ردي روابي الصين أمين محمد والسور تنهد حوله الفرسان
حملت إليه من ترابك حفـنة صـيد يجر أنوفها الإذعان

ثم يقول:

ردي روابي الهند أين شريعة الـ رحمان من سلطانها السلطان
كم كان يبرق في ديـارك نورها أمنا! فغاب فأين منك أمـان

ثم يقول : (٤)

---

(١) الديوان ص ١٤٤:١٥٦ .
(٢) المصدر السابق ص١٤٤.
(٣) الديوان ص١٤٦.
(٤) الديوان ص١٤٧.

دار السلام و أي لحن لم يكن شكوى بدارك إن شدت بغدان
ذكرى لدجلة و الفرات و ساحة غناء تخفق عندها الألحـــان
تمضى إلى الأردن بين مياهها ذكرى يعيد من روائها الجريان
ذكرى تمر بكل خفقة موجـة أو زهرة فاحت بها عمـــان
ودمشق تطويها الضلوع صبابة وتغيب بين جفـــوني السودان
والمغرب الزاهي أرد لساحـه طرفي فيهفو للقاه إخـــوان
يانونس الخضراء عهدي بالندى صبحا و لا تضـحي به ألوان

ثم يقول : [١]

ردي لمصر إذا نظرت لنـيلها عتبى لمن صرعوا هناك وبانوا
الضفتان رؤى يضم شتاتـــها أيك وتطوي ذكرها الأغصـــان

ثم يذكر الأندلس " الفردوس المفقود" ويقف عندها طويلا يتحسر على فردوسها المفقود ويطالع في صفحات مجدها عتبها على أهل المشرق الذين تخلوا عن نصرتها وخلوا بينها وبين العدو فأصبحت أثرا بعد عين وخبرا بعد واقع ممض فيقول: [٢]

ما بال أندلس تجف ورودهـا شجنا! أصوح عندها البستـان
كم كنت حالية و كل حلاك من ومض الهدى و قلادك العقيان
أهدي لك الإسلام أغـلى درة وحباك ثوب زفافـــك الإيمان

وفيها يقول:

وتلفتت والشرق بين عيونها والشرق رق وهاجه التحنان

(١) الديوان ص ١٤٧ .
(٢) المصدر السابق ص١٤٨.

ويربط الشاعر بين القافلة الأندلس إلى الشرق، والشرق ينبض قلبه رقة ويتحرق شوقا إليها، ويخشى أن يلقى الأقصى وأرضه المباركة هذا المصير فيقول :[١]

وتلفت الأقصى و بين جفونه دمع و بين ضلوعه نيران
يتناجيان و كل نجـوة حرقة و لظى يزيد أواره الحدثان

ثم يقول:

يا لوعة الأقصى! ودوت صرخة يطوي صداها ذلة وهـوان
أين النقاة !و ما تقوم بآيـة إلا وكان صـدى القيام سنان

ويؤكد الشاعر على الصلة الوثيقة بين المسجد الحرام في مكة والمسجد الأقصى بالأرض المباركة فيقول: [٢]

وتلفت الأقصى لمكة لـوعة أختاه! تنـهش أضلعي الغربان
أختاه! أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغـثاء؟ أماتوا؟
أختاه! وانقطعت حـبال ندائه واغرورقت من دمعه الأجفان
وهوت معاول كي تدك حياضه وهـوت على أمجاده الجدران
القبلتان مرابع موصولـة درجت على ساحاتها الفتيـان
القبلتان يموج بينهما الـهدى نورا ويخشع عنـده الإنسـان
القبلـتان وكل رابيـة لها حـرم وكل شعابه أكنـان

ثم يتحدث الشاعرعن الكعبة المشرفة ، وزمزم ومقام إبراهيم، ومنى وعرفات ونشيد المسلمين في يوم عرفات وتضرعاتهم

(١) المصدر السابق ص١٤٩.
(٢) المصدر السابق ص١٥٠،١٥١.

وابتهالاتهم وتآلف قلوبهم ووحدة صفوفهم في هذا الموقف العظيم فيقول: (١)

والكعبة الغراء بين حجيجها نـــور و تحت ظلاله ركبان

ثم يقول:

أجرى لها الرحمان زمزم آيـــة فابـــتلت الساحات والأزمان
أمقام إبراهيم و البيت العتيـــ ـــــق هدى وآيات له وبيان
الطائفون الراكعون لربهـــــم خفـــقت قلوبهم وضج لسان
تتزاحم الأقدام في ساحاتـــــه وترف بين ظلاله الأبـــدان
ومنى صدى ربواتها التوحيد والـــ تكبير والإخبات والإذعان
عرفات ساحات تضج و رحمـــة تغشى ودمـــع بينها هتـــان
لبيك يالله! و انطلقت بـــــــها رســـل وفوّحت الربا وجنان

ثم يتساءل عن تحقيق الفائدة من هذا المؤتمر الإسلامي التي تعود على الأمة الإسلامية و مناقشة قضاياها فيقول:

أين الحجج! و كل قلب ضـــارع ومشـــارف الدنيـــا له آذان
ومضى الحجيج كأنه ما ضمـــهم عرفات أو حرم له و مكـــان
عرفات ساحات يموت بها الصدى وتغيب خلـــف بطاحه الألوان
لم يبق في عرفات إلا دمعـــــة سقطت فبكت حولها الوديـــان
هي دمعة الإسلام يلمع حولهـــا آمل و تهرق بينها الأحـــزان

(١) المصدر السابق ص ١٥١، ١٥٢ .

ويغتنم الشاعر هذا المؤتمر الإسلامي في هذا اليوم المشهود، ويخاطب أمة القرآن، ويبث شكواه وحزنه على ما حل بأرض أولى القبلتين، وما نزل بأهلها من بلاء ومن ويلات الاحتلال الصهيوني، يناشد أمة الإسلام أن تهب لنجدتهم وإنقاذ وطنهم من مخالب عدوهم المفترس وتخليصهم من ذل الاحتلال الصهيوني البغيض، ويحث المسلمين على التمسك بالدين والعمل بالكتاب والسنة المطهرة فيقول: (١)

يا أمة القرآن دارك حلـــــــوة ما طوفت بي ذكرى هاج حنان
يشكو ويشكو كل من عرف الهوى أو هاجه من طرفك الحرقـــان
يا أمة الإسلام قد عظـم البـــلا واربد في ســـاحاتك الطغيـــان
أفلت حبل الله وارتخـــت العرى وجرت على ساحاتك القطعان
وهجرت قرآنا و سنـــة أحمـــد يا ويل من ينـــأى به الهجران

ثم يعود يخاطب أمة القرآن ويسألها عن الشمائل والأخلاق التي ورثتها عن النبي محمد ﷺ ، وألقت بها خلف ظهرها، وراحت تتآلف الشعوب الضالة وتستورد الأفكار الهدامة، التي ألقت بها في ظلمات الغي والضلال فيقول: (٢)

يا أمة القـــرآن أيـــن شـــمائل زهـــرت بها دار و عز مكان
أطويت من خلق الرسول صحائفا عطـــرت فعطر ذكرها القرآن؟
فرميتها خلف الظهور و رمت ما تشـــقى به الأجيال و الأوطان

(١) الديوان ص ١٥٤.
(٢) المصدر السابق ص١٥٥:١٥٦ .

وأخذت من كل الشعوب ضلالـــة فرماك في ظلماته الكفـــران

ويختم الشاعر مطولته التي حشد لها العديد من المقومات الإبداعية تعبيرا وتصويرا، ويناشد أصحاب النبي ﷺ في جيشان عاطفي عبر عنه بالنداء والاستفهام التعجبي الإنكاري، لاستحضار مواقفهم البطولية، ويلفت نظر الأمة إلى ما آل إليه حال أحفادها من الذلة والهوان عندما هانت عليهم أنفسهم، فهانوا على الناس ، ثم يدعوا أمة القرآن إلى التمسك بالهدي الإسلامي، حتى تعود لها العزة والمنعة، و يذكرها بأيامها المجيدة ونصرها المنصوص عليه في التوراة والإنجيل والقرآن فيقول: (١)

أصحاب أحمد أين منا جـــولة برقت على رهج القنا الشهبان؟
أكتائب الرحمان أين رســـالة فتحت قلوب العالمين فدنـوا؟
قومي انظري الأحفاد!كيف نفوسهم هانت عليهم المكرمـات فهانوا
ردي علينا من هداك ولقـــني شرفا:حياض الدين كيف تصان؟
وضعي على الكفين بارق صارم لله! تهوي دونه الأوثـــان
واجلي القلوب بفيض نور محمد لا الشرك بين شغافـها والران
هلا أعدت إلى الربا بـــرمولها والشاطئان من الدمـــاء دهان
هلا أعدت القلوب يـــقينها والبشريات نواضـر وجـــنان
عهد مع الرحمن أوفى حقه التـــ ـوراة والإنجـــيل والقـرآن

وعلى الرغم من تعدد المقاطع في مطولة "لم يبق في عرفات إلا دمعة" فوحدة الموضوع ماثلة في هذه المطولة، فالمقاطع ملتحمة

(١) المصدر السابق ص١٥٥:١٥٦ .

النسج يرتبط لاحقها بسابقها والمعاني مترابطة، ومن مظهر التكامل في المعنى والترابط بين الأجزاء تسلسل خواطر الشاعر من مقطع إلى آخر حيث تتآلف هذه المقاطع، لتكشف عن جوانب التجربة، فقد بدا الشاعر بتصوير شعوره نحو البلد الحرام مكة مهبط الوحي، مهد المسرى ومهوى الأفئدة، وراح الشعر يربط حاضر الأمة الإسلامية بماضيها،وفي أثناء ذلك يذكر بالمشاعر المقدسة وأماكنها ومكانتها في قلوب المسلمين، ويخلص في ختام هذه المطولة إلى مناشدة امة الإسلام العودة إلى سيرتها الأولى من العزة والمنعة والكرامة، وقد وعدها الله بالنصر والتأييد في الكتب المنزلة.

ولا يقتصر هذا الترابط على الجانب الموضوعي فيتخطاه إلى الجانب اللفظي في استعمال ضمائر الخطاب والتكلم والغيبة وأسلوب الحوار المتمثل في النداء في قوله:"يا دار ما بك!، روابي الصين ردي، روابي الهند، دار السلام، يا تونس ، يا لوعة الأقصى، أمقام إبراهيم ، أختاه، يا أمة القرآن، يا أمة الإسلام، أصحاب محمد ﷺ ..." ولا عجب أن يكون شعر عدنان النحوي في ديوانه الأرض المباركة نبع من غسق الانتداب البريطاني إلى دجى الاحتلال الصهيوني، و كأن الديوان سا مقاومة ضد الاستعمار والصهيونية والمؤامرات الدولية، فجات قصائد الديوان مترابطة الأجزاء محكمة الصلة، وهي من جيد الشعر الوطني الإسلامي ، لأنها تناولت موضوعا وطنيا إسلاميا دون أن تسقط في مهاوي المباشرة والتقريرية ودون أن تكدرها النبرة الخطابية والصوت المرتفع لقد أفاد الشاعر من ثقافته و معرفته فالديوان دقات تنبيه من

شاعر متوقد الإحساس ، تتجلى فيه شخصية الشاعر وتوهج وجدانه وهي ثرة بالأحاسيس الدينية والمشاعر الوطنية بكل ما تحمل في ثناياه من أمجاد ماضي الأمة الزاهر وهموم الأمة الراهن والأمل الحلو في المستقبل بقوة الإيمان والصبر

٢-التجربة الشعرية

نقصد بالتجربة الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورا الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره و إحساسه . (١)

وديوان "الأرض المباركة" نتيجة معاناة حقيقية و معايشة ذاتية لتجربة فعلية فهو يكاد يكون ثورة نفسية متلاحقة الانفجار ومن ثم فقد تحقق في هذه التجربة الشعرية عنصر صدق الحقيقة أو الواقع الذي يعني أن الشاعر إما أن يكون قد عاش التجربة و عاناها بنفسه أو أن يكون رصدها في غيره ممن عاشها ووعاها

ويقول الدكتور غنيمي هلال:" والشاعر الحق هو الذي تتضح في نفسه تجربته، و يقف على أجزائها بفكره ويرتبها ترتيبا ، قبل أن يفكر في الكتابة... ثم يقول: والشاعر يعبر عما في تجربته عما في نفسه من صراع داخلي، سواء كان تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو أم عن موقف انساني عام تمثله" (٢)

(١) النقد الأدبي الحديث، ص٣٦٣.
(٢) المرجع نفسه .

لكن الذي يضعه النقد في الدائرة الأولى من اهتمامه، ليس هو صدق الحقيقة في التجربة الشعرية بمعنى مطابقتها للحقيقة أو الواقع، أو عدم مطابقته لهما، بل صدقها الفني

ويعنى النقد الأدبي بالصدق الفني في التجربة ، قدرة الأديب على تصوير ما بداخله ... سواء أكان حقيقة واقعة أم خيالا متصوراً- والتعبير عنه تعبير ينقل إلى المتلقي صورة ما ثلة لما يعج بداخله، أو أقرب ما تكون إليه.

وهذا ما عبر عنه الدكتور محمد مندور: " بقوله... إن الأديب ذا الخيال الخصب الخلاق أو ذا الملاحظة الدقيقة النافذة يستطيع أن يخلق بخياله تجارب بشرية قد تكون أعمق صدقا و أكثر غنى من واقع الحياة، كما يستطيع بقوة ملاحظته أن يصوغ تجارب للغير يستمدها من محيطه الإنساني، ومع ذلك لا تقل صدقا ولا مشاكلة لواقع الحياة الإنسانية العام عن تجاربه الخاصة..." (١)

ومجال الشعر هو الشعور، سواء أثار الشاعر هذا الشعور في تجربة ذاتية محضة كشف فيها عن جانب من جوانب النفس، أو نفذ من خلال تجربته الذاتية إلى مسائل الكون، أو مشكلة من مشكلات المجتمع، تتراءى في ثناياه شعوره و إحساسه.

وللشاعر أن يستخدم في ذلك كل الوسائل المتاحة له، من أدوات لغوية، وإمكانات تعبيرية وطاقات إيحائية، لكي يصل من خلال ذلك إلى المستوى الذي يريد.

---

(١) د. محمد مندور، الأدب و مذاهبه، ص١٠، نهضة مصر.

وإذا تمكن الشاعر من استخدام هذه الوسائل باقتدار، نجح في أن يثير في المتلقي الشعور بالوسائل الفنية في الصيغة، وتحقق في شعره الصدق الفني في التجربة، لأن الصدق الفني في التجربة مرتبط أشد الارتباط بمدى قدرة الأديب على نقل ما بداخله إلى الملتقى من خلال الأساليب الأدبية، والصور الفنية، والتراكيب الصحيحة والألفاظ المؤدية والموسيقى الموحية.

ولا ريب أن ديوان "الأرض المباركة" قد تحقق فيه عنصر الصدق الحقيقي الواقعي، لان ما جاء في قصائد هذا الديوان من شعر تعبير البليغ، عامر بالأحاسيس الفياضة و المشاعر الملتهبة الصادقة، عن تجربة حقيقية واقعية عاناها الشاعر ورآها بعيني رأسه، وكل قصيدة، بل و كل كلمة سطرها الشاعر في هذا الديوان وليدة الحقيقة، فكم شاهد من آثار الخراب والدمار والقتل والتعذيب والتنكيل والترحيل. الذي صبه الاستعمار البريطاني والاحتلال الصهيوني على الأرض المباركة وسكانا الأصليين طردوا من بلدهم ليحل محلهم الصهيونيون منذ وعد بلفور المشؤوم ، علما بأنه لم يكن لليهود في فلسطين أي وجود أو حكم ، إلى أن دخلت القوات البريطانية فلسطين عام ١٩١٨.

والشاعر عدنان النحوي كم ذاق من طعم كل تلك الفظائع والجرائم التي غص بها حلقه من جراء بشاعتها وهولها، وحزنه الشديد على واقع أمته الأليم وما أصابها من تخلف وضياع وانحدار واضمحلال بعد ما كانت عليه من مجد وازدهار، فباتت غرضا لسهام الأعداء تنوشها من كل جانب.

ومشهود لصاحب هذا الديوان في الأوساط العلمية و الأدبية بأنه من أهل النضال العربي و الوعي الإسلامي، ملتزم بقضايا بلاده، مؤمن بربه متعلق بدينه وعقيدته. وقصائد ديوان "الأرض المباركة" تتجلى فيها شخصية الشاعر عدنان النحوي، وتوهج وجدانه وهي ثرة بالأحاسيس، بكل ما يحمل في ثناياه من أمجاد ماضي الأمة الزاهر، وهموم الأمة الراهنة، والأمل الحلو في المستقبل بقوة الإيمان والصبر.

ومن تلك القصائد على سبيل المثال لا الحصر: "نذير"، "يا قومي"، "الشهيد عبد القادر الحسيني"، "وطن يضيع"، سقوط صفد"، "فلسطين في ظلال القرآن"، " لم يبق في عرفات إلا دمعة"، "الشهيد"، "عزة الإيمان"، "رحلة" و "أسواق".

وهذه القصائد تلتحم بمبدعها التحاما حميما لتعبر عن هموم الشاعر و خواطره ، التي تمثل المثير الحقيقي لتجربة الشاعر.

ففي قصيدة "نذير" التي قال فيها : [1]

يا للديار و يا للمجد من زمـــــن
هاجـت نوائبـه تطـــوي بواديا
شاد الألى غبروا صرحا فقام لهـم
وغار في لهـــــوات من توانينا
لا يدفع الدمع عنا أي نازلـــــة
ولا يعيد التغني زهـــــو ماضينا

(١) ديوان "الأرض المباركة" ص ٦٠،٦١.

نرقى إلى المجد إن صـــحت عزائمنا

وبارك الله ما تبني مســـــــــاعينا

مالي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا

ورجّعت بيننا صوتا ينادينـــــــــا

كأنما انقدت أحشاؤها جـــــــزعا

وولولت رهبا من واقع فـــيـــنـــــا

ثم يقول:

هبوا سراعاً إلى حومات مـــعترك

من الجهاد يـــــدوي من روابـــينا

هل تحسبون بأن الليـــل منعـــقـــد

فنمتم و ضللتـــم في دياجـــيـــنـــا

الشمس وضاحة في الأفق فانتبهوا

وسارعوا فغروب الشمس داعينا

لا تذهبوا فرص الأيام عاطـــــلة

وقد أتتكم حلاها من أمانينـــــــا

وحققوا أملا في الصدر مضطرما

لولاه ما نبضت أعراقنا فينـــــــا

ويختتم هذه القصيدة بقوله: (١)

(١) المصدر السابق ص٦٢.

مـــاذا يفيد نواح فوق غاليـــــــــة

من التراث تداعت مـــن تداعينـــــا

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغـــــت

وجاست خلال الملك تطوينـــــــــا

شدوا العزيمة، شقوا الدرب واخترقوا

صف العدى عصبة لا تظهر ليـــنا

علّ الزمان الذي غابت طلائـــــعه

يعود يشرق شمـــسا في لـــيـــالينـــا

وقصيدة نذير من أوائل القصائد التي نظمها الشاعر في سنة ١٩٤٣م، حين هدأت الثورة الفلسطينية مع نشوب الحرب العالمية الثانية و شعر أن الشكوى أكثر من العمل و التغني بالأمجاد أسلوب القاعدين و بدأت تظهر أفكار بعيدة عن امتنا غريبة عن عقيدتنا.

وتحس في هذه القصيدة بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله.

ويظل الشاعر يبث الشجون ، و يثير العواطف، و كلما مر عيد من الأعياد أضاف جرحا جديد الى جراحه ، فهو يصرخ في وجه العيد قائلا: (١)

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء والترديد

(١) المصدر السابق ص٦٧.

أن نرى من شبابنا كل حر صاعدا للردى، فذلك عيد

وواضح ان الشاعر حين يكتب عن العيد تلح عليه قصيدة المتنبي المشهورة:

عيد بأي حالٍ عدت ياعيد بما مضى أم لأمر فيك جديد؟

وتأثير المتنبي لم يظهر في أسلوب النحوي ورنته التشاؤمية فحسب، بل ظهر في اصطناعه لقافيته أيضا، وللنحوي قصيدة ثانية في العيد فقد وضح فيها تأثير المتنبي بصورة أقوى إذ حاكاه في الوزن والقافية والأسلوب ومطلع قصيدته(٢): [١]

هل عدت بالأمل المحبوب يا عيد

عود سعيد فهل في العود تـــجديد

وتنفجر الفاجعة فتعصف بكيانه حين تسقط "صفد" بلده الحبيب فيشتعل شعره لظى صارخا، و هو يرى أهله ينزحون عنها : [٢]

أنزوح! يا ويحهم أنزوح ورضيع على الأكف ينوح

يبتغي قطرة و ذاك جريح وعجـــوز مروع وطريح

وهو يقبس من مصارع الشهداء الجذوات التي ينفثها في عروق الباقين، يستثير فيهم بها روح الكفاح والنضال، ومن قصائده الرائعة في هذا المجال، قصيدته التي يرثي بها الشهيد عبد القادر الحسيني، و التي يختتمها موجها خطابه الى الشهيد فيقول[٣] :

(١) المصدر السابق ص ٧١.
(٢) المصدر السابق ص ٨٦.
(٣) المصدر السابق ص ٧٠،٧٩.

وخضت شرقيهم ترمي بوارجـــهم
فـــتـــية نـــجـــب لا جحفل لجـــب
والليل حولك جياش تخوض بـــــه
كأنما أنت فيه جـــحفل عجـــــــب
لم يبق عندك مذخور فتقذفـــــــــه
أو منجـــد قائم يـــدنو ويقتـــــرب
وانهالت النار فاستقبلت جرتـــــها
وأنت في القسطل الحمراء تحتطب
حتى قضيت و في جبينك أوســـمة
حمراء لا ماسة فيها و لا ذهـــــب

على أنه وهو ينفعل بالأحداث الدامية التي تجري على الأرض المباركة فلسطين، لا تبتعد أحاسيسه - في الوقت نفسه- عن الذي يدور في بعض البلدان العربية من كبت وإرهاق وحوادث لها في النفس مضاضة ظلم ذوي القربى، فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافا من اللذين:

لم تجاوز عزة النفس بهم لفظة ماتت على ثغرهم

أو كما يصف الشاعر احد مجالس القضاء الصوري التي أقيمت في ذلك العهد ، وما كانت تقوم به هذه المجالس من انتهاك لأبسط قواعد العدالة و فيها يقول[1]:

(١) المصدر السابق ص١٣٥،١٣٦.

ومحاكـــــم التفتيش من رواقها
كف يسيل على جوانـبه الـــدم
ومـــهازل فـــيها تحاك فأحمـــق
يهـــذي لجـــب قيدوه وكمموا
ودعـــوه بين بنادق مصفوفـــة
وقنا محـــدودة وقيل تكلـــموا
وأخو القضاء أخو هوى وضغينة
وجهالة تبدو عليـــه وترســـم
يا شعـــب باسمك كم تباح مظالم
والشـــعب لا يدري ولاهو يحكم

وتلاحق الشاعر عدنان النحوي أطياف سود من ذلك العهد لا تفـتأ ترسـم أمام عينيه أعواد المشانق التي ارتقى اليها عدد غير قلـيل، ممـن وخـزتهم شوكة الحرية، وكان أن نظم سنة ١٩٧٢ قصيدة بالغة الأسى و الشجن تقع في اثنين و سبعين بيتا يرثي فيها المفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب و يقول فيها [١]:

إنه خفقة اليقـــين، أمانـــ ـــى جهاد ، نسائم القرآن
هب كالليث، والدياجير حمقى جامحـات، مفلوتة الأرسان
تنزع الناس، والخلائق حيرى تائهات الأبـصار والأذان
كتل كالعبيد ينهبها الســـو ط جنونا تســـاق كالقطعان
الطريق الطويل شـق عليها فهوت في مزالـــق وهوان
فتنة تهدر المروءات فـــيها وتردى كـرامـــة الإنسان

(١) المصدر السابق ص ١٣٧،١٤٣.

ثم يقول:

غير أن العبيد قـــتلها الـذ ل فلم ترتعش لســـوط هوان
وإذا الحق صيحة تتعـــالى وإذا الأفق مـنبـــــر لآذان
وتعالت الله اكـبر فـــي الأر ض على ربـوة، على شطآن
وانطوى الليل عن سنا الفجـ ـر أنوارا ولاحت بشائر وأماني
دعوة من صدى النبوة من أنـ ـفاس آيـات محكم الـقرآن

ثم يتحدث عن دور سيد قطب في الدعوة الإسلامية وجهوده الكبيرة التي قام بها في مجال خدمة الفكر الإسلامي من خلال كتاباته الإسلامية التي أسرت القلوب المؤمنة و هيجت حقد النفوس الآسنة، فيقول:

إيه يا سيد حمـلت إلى الـــ ناس سلاما وروعة من بـيان
صغت من مهـجة تعابير أشـ ـواق ومن آية الكتاب معاني
وتفيأت في الظلال من الخيـ ـر وأنداء روضة وجـنان
لم تزل تقطـف الورود أكـا ليل وتهـدي قلائد من بيان
فملكت القلوب في صدقك الحـ ـر وهيجت حقد كل جبـان
ورآك الكفار طودا شمـوخا ورأوا كيدهم مضى لهـوان

وفيها يحدثنا أيضا:عن إبائه واعتزازه بنفسه واعتداده بكرامته وترفعه عن الدنايا بالرغم مما قدموا له من إغراءات ليثنوه عن منهجه في خدمة الدعوة الإسلامية فيرفض كل هذه العروض الرخيصة فهاجت تلك البطولة النادرة في نفوس الظلمة الحاقدين البغض، فألقوا به في غياهب السجن وذاق من ألوان التعذيب العديد

ومع كل هذه الفظائع ظل سيد قطب حرا أبيا رافعا رأسه بعزة الإيمان يسخر من جلاده ويهزأ من سطوة السلطان:

نفسك الحرة الأبـية عافـــت ما اسألوه من رخيص فان
وتعاليت عن النية كالشـــمـ ـس علواً كالنور في اللمعان
هاج بالحقد من بطولتك العبـ ـد وثارت عواصف الشنآن
جعلوها على يديك حـــديـدا وأحاطـوك بالقنـا والسنان
وأقاموا عليك من ظلـمة الليـ ـل سجوناً مخنوقة الجدران
وسياطاً تهـز من محصـدات هاويات كالشهب كالنيـران
فإذا أنت بينهم سيـــد حـــر ر حواليك عصبة العبـدان
وتلـفت هازئاً وتـــــهاوت تحت عينيك سطوة السلطان

ويغوص الشاعر عدنان النحوي في أعماق هذا الحادث المأساوي، ويفضي عما في نفسه من خواطر جزاء هذا الحدث الجلل الذي انتهى بنصب أعواد المشانق لإزهاق روح طالما تعطرت أنفاسها بظلال القرآن في الدنيا وتمضي إلى بارئها تستقبلها روائح الجنان ومضى صاحب هذه الروح الطاهرة يحدوه الجلال وترك من خلفه الذليل يقتله الحقد كالمرجل يفور بالغليان فيقول: (١)

هزئت نفسك العظيمة منهـــم دفعت كيدهم إلى خـــسران
فأتوا يرهبون جسمك بالمـــو ت تلاقوا على هوى وهوان
فمضى والجلال يخفق أنـــوا راً وهبت روائح من جـنان
وظلال القرآن حولك أفـــيا ءً وأنداؤها شذي الإحســان

(١) الديوان ص ١٤٢ .

وتبسمت حين أشرق فجـــــر وأطـلت من الخـلود أماني
وتركت الذليل يقتله الحقـــــ ـد على مرجـل من الغليان

ويصل الشاعر الى ذروة الانفعال بهذا الخطب الأليم ، فيعبر الشاعر عما يجده في نفسه و يؤمن به ، و يختتم قصيدته موجها للشهيد سؤاله الشامت بهذه العصابة: (١)

أين فرعون والعصابة و الســـ ـوط وذل الرفاق والأعوان؟
هلكوا في متاهة الشرك أجـــيا فـــــا وحلقت في نعيم حاني
فمضيتم معالم في طريـــــق ومنارا للتـائه الـحـــيران

وقصارى القول أن الشاعر وفق في تجربته ونجح في إشراكه المتلقي والارتقاء به إلى مستوى الحدث بما بثه في شعره من مشاعر وأحاسيس متأججة فياضة صادقة، و أفكار متلائمة متناسقة، وصياغة محكمة، وصورا رائقة هيأت المتلقي وجعلته يعيش جو التجربة التي أفضت بها نفس المبدع وصنعت بينه وبين المتلقي صلة حميمة، لأن الشعر يعتمد على شعور الشاعر بنفسه وبما حوله شعوراً يتجاوب هو معه، فيندفع إلى الكشف فنيا عن خبايا النفس أو الكون استجابة لهذا الشعور و الشاعر الجيد هو من يستغرق في تجربته، و يكون الكشف عنها هو غايته.

" والتجربة الشعرية يستغرق فيها الشاعر لينقلها إلينا في أدق ما يحيط به من أحداث العالم الخارجي، فتمثل فيها الحياة وألوان

(١) المصدر السابق ص١٤٣.

الصراع التي تمثل في النفس، أو الفرد، إزاء الأحداث التي تحيط به..." [١]

ويقول الدكتور شوقي ضيف عن التجربة الشعرية:"إن لتجربة الشعرية حدث قائم بذاته له بداية وله نهاية، حدث وجداني عاطفي ينبع من نفس صاحبه و من عقله و من كل حواسه، و دخائله النفسية و الفكرية الظاهرة و الباطنة"[٢] .

ويرى بعض الباحثين:"أن من خصائص التجربة الشعرية الإبداعية أن الشاعر يخلص لها إخلاص المرء لعقيدته، مما يستلزم منه تركيز قواه و انتباهه في تجربته"[٣] .

٣- الصورة الشعرية

إن الصورة الشعرية ليست إلا تعبير عن حالة نفسية معينة يعانيها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة، و أن أي صورة داخل العمل الفني إنما تحمل من الإحساس و تؤدي من الوظيفة ما تحمله و تؤديه الصورة الجزئية الأخرى المجاورة لها، وأن مجموع هذه الصور الجزئية تتألف تتلف الصورة الكلية التي تنتهي إليها القصيدة. ومعنى هذا أن التجربة الشعرية التي يقع تحت تأثيرها الشاعر، والتي يصدر فيها عن عمل فني ليست إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صور جزئية، و التي يصدر فيها عن

---

(١) النقد الأدبي الحديث، ص٣٦٣.
(٢) في النقد الأدبي ص دار المعارف بمصر، الطبعة السابعة (د.ت.).
(٣) د. محمد صالح الشنطي ، في النقد الأدبي الحديث ص٢٩٦، دار الأندلس، حائل، السعودية، الطبعة الأولى،١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

عمل ليست إلا صورة كبيرة ذات أجزاء هي بدورها صور جزئية، و لن يتأتى لهذه الصور الجزئية أن تقوم بواجبها الحقيقي إلا إذا انتزرت جميعها في نقل التجربة نقلا أمينا"[١] .

ومن ثم تبرز أهمية الصورة في العمل الشعري، فهي وعاء الإحساس عند الشاعر، ووسيلته لتجسيد هذا الإحساس ، وعماد الشعر، ولب لبابه ، وروحه فلا يقوم الشعر إلا به، والشاعر الذي لا يملك موهبة التصوير أولى ألا يعد من الشعراء، فبه تقاس جودة الشعر، وتقدر موهبة قائله، وبه يكتب له الذيوع والخلود، ولذلك نالت الصورة مكانة مهمة في الفن الشعري.

والصورة نتاج الخيال أو كما يقول بعض الباحثين : "ابنة الخيال الشعري الممتاز، الذي يتألف عند الشعراء من قوى داخلية تفرق العناصر، و تنشر المواد و تعيد تركيبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم"[٢] .

وعلى كل فالصورة في النقد الحديث هي: "الوسائل التي يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا الى قرائه وسامعيه"[٣].

وللصورة الشعرية منزلة في شعر عدنان النحوي، ولا تكاد تقرأ قصيدة له إلا وتجد الصورة الشعرية تتغلغل في نسيجها ، وإن

---

(١) د. محمد زكي عشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، ص ١٠٨، دار النهضة العربية ببيروت، لبنان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
(٢) د. عبد القادر الرباعي ، الصور الفنية في شعر أبي تمام ، جامعة اليرموك ، ص١٤، الأردن، ط ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٣) أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، ص٢٤٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة العاشرة .

كان يميل في هذه الصورة إلى التقريرية والمباشرة، وقد استنبط النحوي صوره واستلهمها من الطبيعة من حوله، ومن موروثه الشعري والثقافي ومن واقعه النفسي والشعري ، تلك الصور التي تحرك النفس، وتعمق لمعنى وتجسده وتمنحه حياة المعنى وحركة ولونا ومذاقا ولمسا.

وذلك يعود إلى أن الشاعر عدنان النحوي قد سكب في كلامه لونا من خياله الرحيب ولديه القدرة على رؤية ما لا يرى، والتأليف بين المشاهد والصور، والمواقف المتعددة بطريقة تجعل القارئ يتأثر ويشارك في الرؤى ومن ذلك قوله في قصيدته الروحانية "دعاء" ولعل هذا الافتتاح ما يدل على عقيدة الشاعر ، وإيمانه بأن التوجه إلى الله هو السبيل إلى الخلاص من كل الآلام التي تعاني منها البشرية في العصر الحاضر... وهو يصف حاله الذي يصف حال المسلمين فيقول : (١)

يارب! هذا دعائي كيف أرفعـــــه

إليك وهو على الآثام محـــــــمول

لولا التأمل في رحماك ما انفرجـت

نفس ولا كان للملهوف تجمـــــيل

يا رب! أنت وليّ فاهدنى سبـــــلا

إلى الرشاد. دعائي فيك مأمـــــول

(١) ديوان "الأرض المباركة" ص٥٥.

يا رب! أنت الذي أرجو معونـــــته
في كل أمر فيك رجائي موصـــــول

وفي هذه الضراعة الصادقة والروحانية الخالصة التي يتخفف بها الشاعر من أدرانه النفسية راجيا من ربه قبوله و هدايته إلى سبيل الرشاد وأن يشمله عونه وعنايته يصور في هذا المقطع تضرعه وتحسره وندمه على تفريطه في جنب الله الذي يبرزه النداء في قوله : "هذا دعائي كيف أرفعه؟" ومما يزيد في ضراعته تكراره لأدوات النداء "يا" في باقي الأبيات و ذلك مما يدل على بلاغة الشاعر فهو يسعى إلي تقريب الكلام إلى الإفهام ، ويرفع من درجاته لحسن وقوعه في الأنفس. والإجادة في نقل المعاني إلى القراء والساعين ومن ذلك قوله في القصيدة نفسها:

كم دمعة سفحت في الليل ســـــاربة
وكـــم تردد في جـــنبيّ تعـــليـــل
وكـــم تنفس صبـــــح ما نسائـــــمه
إلا ابتهال إلى الرحـــــــمن متبـــول
وما نداه ســـــــوى دمع أكـــــفـــكفه
يارب! علّ دعـــــــائي منك مقبـــول
خفق القلوب دعاء أنت تســـــــــمعه
وللـــجوارح تســـبـــــيح و تهليـــــل

وفي هذا المقطع يقدم الشاعر المشهد في صورة لا تتضح أبعادها إلا بالتئام عناصرها فالمشهد هنا متكامل بعناصره المختلفة

حيث الرقعة الزمانية فقيام الليل وسفح الدموع الذي يقترن بالتهجد في جوف الليل حتى يسفر وجه الصباح الذي ينشق فجره ويتنفس صبحه نسائمه المعطرة بالدعاء والابتهال إلى الرحمن هذا الدعاء الذي يصحبه البكاء وما قطرات الماء التي تبدوا على سطح الأشياء في الصباح إلا تلك الدموع المسفوحة في جوف الليل وهذه كناية عن كثرة الدموع والبكاء في الدعاء خرج به الشاعر إلى حد المبالغة وكل جوارح الشاعر تلهج بالدعاء وتسبح وتهـلل وقلبه بالدعاء يخفق ولا يخفى على الله شيء من ذلك وتتعاون عناصر الصورة من لونه في سواد الليل وصوت في التضرع والابتهال والتسبيح وحركة في تنفس الصباح في نقل الصورة أو تشكيل اللوحة، بل أخذت تغوص في الدقائق الحية التي تكشف عما وراءها من ملامح نفسية عند عدنان النحوي الذي اهتم بتفاصيل الأشياء واعتمد على التشخيص وفي قوله " وكم تنفس صبح " والتجسيم كما في قوله : " وما نداه سوى دمع أكفكفه " لكي يوحي بأن الصورة تتجاوز السطح إلى العمق النفسي الشعوري.

وبعد هذا يقدم لنا الشاعر قصيدة في الرثاء ، وأصدق ما يكون الرثاء عندما يكون لقريب ، وأي قريب هو أشد قرابة من الأم ... توفيت والدة الشاعر سنة ١٩٥٢م فخاطبها قائلا : (١)

أماه! أطلقها لفؤاد وما زجت صوت النواح مدامع الأجفان

وفي هذا البيت نلمح والى أي مدى وفق الشاعر في المزاوجة بين الأحاسيس التي اشتركت في الحزن فالفؤاد صرخ "أماه" ،

(١) الديوان ص٥٧.

وصوت النواح رافقه الدمع ، وهكذا كانت كل الحواس حزينة في صورة بالغة التأثير والأسى حزنا يفطر الأكباد ويذيب الصخور كما في قوله : [١]

يلقي عليك بنوك من أكبادهـــم قطـــعا تذوب بمدمع هتان
وأسى إذا ما مس جانب صخرة لأذابـــها في ثورة البركان

وبالرغم من شدة المصاب و وقعه الأليم على نفس الشاعر لا ينسى مرابع الصبا ومنازل الذكريات التي درج على أرضها وتنسم عبيرها وكأن المصائب يذكر بعضها بعضا فيصور ذلك في قوله:[٢]

يا أم أين مرابع بســـمت لنا ومنـــازل سعدت و طيب مكان
كانت تهش إذا نزلت ظلالـــها وتمـــوج في طرب وحلو أماني
فإذا سررت فبسمـــتي وطلاقتي وإذا شـــكوت فمد دمعي ولساني
ودفعتني لما خشيت و قدتـــني لما ضللت و زدت من إيـــماني
عجبا! من للدمـــــوع يردهـــا يوم الفراق ومن يعـــيد حناني
بالأمس أضحكني وأنساني الأسى أمل ذوى واليـــوم قـــد أبكانـــي

والشاعر في هذا المقطع مع حزنه الشديد على فقد أمه يتحسر على فقده الأشد أسى وحزنا على أرضه ووطنه الذي اغتصبه الصهاينة ويربط بينه وبين الفقيدين في روعة الصياغة ودقة المعاني ويؤيد معانيه بصور بيانية من قبيل الاستعارة المكنية كما

(١) المصدر نفسه .
(٢) الديوان ص ٥٨.

في قوله : " مرابع بسمت، ومنازل سعدت ، كانت تنهش، وتموج في طرب". فقد شخص المرابع والمنازل والصورة التمثيلية في قوله : " فإذا سررت فبسمتي وطلاقتي "...الخ .

والمجاز المرسل في قوله : "بالأمس أضحكني وأنساني الأسى ... أمل"...الخ. والصور بشكل عام تدخل في نسيج القصيدة، فتؤدي المعنى المطلوب.

كما طعم هذه الصور ببعض المحسنات البديعية كالمقابلة بين شطري هذه الأبيات في قوله:

فإذا سررت فبسمتي وطلاقـــتي وإذا شكوت فمد دمعي ولســـاني

ودفعتني لما خشيت و قدتـــــني لما ضللت وزدت من إيـــــماني

وفي قوله:

بالأمس أضحكني وأنساني الأسى أمل ذوى واليـــوم قـــد أبكاني

وهذه المقابلات ساعدت على إبراز المعاني وقوتها التي تتعانق مع الألفاظ فتخرج منهما صورة حية هي أجمل مثال للفن الجميل.

وفي قصيدته "نذير" التي يصور فيها تقاعس قومه والاكتفاء بالقول أكثر من العمل والتغني بالأمجاد أسلوب القاعدين حيث يقول: [١]

(١) المصدر السابق ص ٦٠،٦١.

ما لي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا

ورجّعـــــــــت بيننا صوتا ينادينـــا

كأنما اتـقدت أحشاؤها جـــزعـــــا

و ولولت رهبا من واقـــــع فينا

ومرت الأيام بالأطـــــلال فامتلأت

شعابها من رؤى الآتي ســـرا حينا

وفي الأبيات تشخيص للأرض حيث اتخذ الشاعر من الطبيعة وسيلة للتعبير فخلع عليها مشاعره، واستلهم فيها صوره على طريق الرومانسيين. فالأرض تتفجر ثورة وتردد صوتا من شدة هول ما ترى من حال أهلها من تقاعس في مقاومة العدو المغتصب للأرض المباركة التي اشتعلت أحشاؤها نارا من شدة الجزع لهول ما يحدث فأخذت تولول رهبة من هذا الواقع الأليم، الذي لا يشفع لهم اجترار الماضي واستحضار مشاهد البطولات والتغني بأمجاد السابقين بينما عدوهم يزحف على هذه الأرض ويجوس خلالها فسادا فامتلأت شعابها بتلك الذئاب المفترسة.

وتنتشر في الصورة عناصر الحركة والصوت والرائحة وإن جاءت على سبيل التعجب، فبدا بالحركة في قوله : " ما لي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا " والصوت في قوله:

ما لي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا ورجّعت بيننا صوتاً ينادينا

والرائحة في قوله:

وهبت الريح أنساما معطرة قد داعبت عبق الماضي رياحينا

والكناية عن توحش الصهاينة المغتصبين في قوله:

ومرت الأيام بالأطلال فامتلأت شعابها من رؤى الآتي سرا حينا

والشاعر قد وفق في التعبير عن تقاعس أبناء وطنه في الذود عنه واتهامهم بالقعود عن مقاومة المغتصب فأضفى على المشهد كله الأسى والحزن الذي خيم على الطبيعة فاختار الشاعر كلمات تدل على هذه المعاني، التقاعس، وترجيع الصوت بالنداء وانقاد أحشاء الأرض وولولتها رهبا من واقع فينا وتنكير "صوت" وتنوينها و"جزعاً ورهباً" ترمز إلى التقاعس و التراخي في مواصلة مقاومة المغتصب لتلك الأرض المباركة و تكرير بعض الحروف في : " رجعت، انقدت، و ولولت" لتقوية الموسيقى الداخلية و النغم أيضا فقد وردت التاء الساكنة مكررة في هذه الأبيات في قوله:" ثارت، ورجعت، انقدت، وولولت، هبت، داعبت، مرَّت، امتلأت..". ومن ثم فقد وفر الشاعر للصورة من المقومات ما جعلها تعبر بدقة عن تقاعس قومه. والاكتفاء بالقول وترديد الشعارات والتغني بالأمجاد وهذا أسلوب القاعدين الذين لا ينفرون خفافا وثقالا إلى مقاومة المحتل الصهيوني.

وفي قصيدته " الشهيد عبد القادر الحسيني" الذي سقط شهيدا في معركة القسطل في ٨ نيسان ١٩٤٨م خاضها بما لديه من رجال وسلاح يصور في براعة بطولة هذا المجاهد وتضحياته على الرغم من عدم تكافؤ القوى وقلة العتاد التي لم تثنه عن إقدامه في خوض هذه المعركة واستشهاده فيها: (١)

(١) الديوان ص ٧٩.

حلفت بالله أن تغدو بكوكبة في ربة القسطل الهوجاء تحتطب

ثم يقول:

وخضت شرقيهم ترمي بوارجهم
فتية نجب لا جحفل لجب
والليل حولك جياش تخوض به
كأنما أنت فيه جحفل عجب
دخلت حامية فيها فما عرفوا
غير الرصاص منك أو شربوا
لم يبق عندك مذخور فتقذفه
أو منجد قائم يدنو ويقترب
وانهالت النار فاستقبلت حرتها
وأنت في القسطل الحمراء تحتطب
حتى قضيت و في جبينك أوسمة
حمراء ولا ماسة فيها و لا ذهب
فخر فما جاد في تعليقها أحد
يلهو و لا هي نيشان و لا لقب

وفي هذه الأبيات يصور الشاعر رباطة جأش عبد القادر الحسيني ورفاقه المجاهدين اللذين خاضوا هذه المعركة تقذفهم نيران العدو من كل مكان، وليس لديهم من السلاح ما يعينهم على هذا العدو الغاشم والأخطار محدقة بهم من كل جانب فالليل يلفهم بودايه وهم يغتنمون ظلمة الليل في اقتحام معسكر العدو وتدميره

ولم يبق لديهم من الذخيرة شيء يقذفون به عدوهم ولم يتقدم أحد لنجدتهم ومع ذلك استمر في استبساله وقتاله، تنهال عليه النيران فيستقبلها في شجاعة وثبات حتى صار حطبا لها فقضى نحبه وفي جسده أوسمة هذه النيران، ليست من معدن نفيس من ماس أو ذهب وهذه الأوسمة في جسده معالم على شجاعته وفخر على إقدامه وبسالته.

وواضح أن الشاعر في هذه الصورة التي استوحاها من موروثه الشعري والثقافي، فقد استلهم قصيدة فتح عمورية للشاعر أبي تمام واستخدم بعض الكلمات و الأساليب كما في قوله:

وخضت شرقيهم ترمي بوارجهم فتية نجب لا جحفل لجب

فهو مأخوذ من قول أبي تمام:

لو لم يقد جحفلاً يوم الغي لغدا من نفسه في جحفل لجب

وقوله أيضا :

خمس وعشرون لم تنجد مطيتهم مدافع وسواهم معقل أشب

فهو مأخوذ م قول أبي تمام:

من بعد ما أشبوها واثقين بها والله مفتاح باب المعقل الأشب

وهذا الاستلهام الذي سيطرعلى الشاعر عدنان النحوي يكشف انه نهل من الثقافة العربية وأبرزها في هذه القصيدة وغيرها في قصائد "الأرض المباركة"

وفي قصيدته "فلسطين في ظلال القرآن يستقي صوره من التراث لكنه يتصرف فيها و يعيد تشكيلها و يبث فيها من روحه ما يجعلها تتسم بالطرافة والجدة كتلك الصورة التي يتحدث فيها عن الأماكن المقدسة في فلسطين و المعالم التاريخية و فيها يقول: (١)

إيه يا قدس! مهبط الوحي!هبي نفحات وأشرقي أضـــواء
والنبـــوات في رحابك تســـعى وهي تتلوا آياتها العصماء
والنبي العظيم يعرج منهـــــا قبســـاً يملأ الزمان ضياء
أين يا غـــزة الجـــــهاد أطلي أين ألقى الخليل أو عـــكاء

والشاعر يهيب بالمؤمنين جميعاً أن يخفوا لإنقاذ الأرض المباركة التي تضم القدس الشريف مهبط الوحي على الأنبياء ومعراج خاتمهم ، النبي العظيم محمد بن عبد الله ﷺ وفلسطين ليست وطنا فحسب ، إنما هي ارض مباركة تضم حائط البراق كما تضم أولى القبلتين والشاعر يسأل في حسرة وألم غزة عن الجهاد وكما يسأل الخليل وعكا ويوصله هذا الحزن الغامر على القدس بعد أن يقارن بين حالتي المسلمين في عهد الاحتلال الصليبي وحال المسلمين لهذه الأرض المباركة ، ثم يوجه حطابه لانتصار المسلمين على الصليبيين والتتار ليبرز تخاذل المسلمين وتقاعسهم عن تخليص القدس من رجس الاحتلال الصهيوني.

(١) الديوان ص ٩٦.

" ومخاطبة الزمان أو المكان أو الجماد لون من الإسقاط يقوم به الأدباء ليوصلوا ما يدور في أخلادهم من الأفكار بأساليب مختلفة معبرة [١].

ولا شك في أن الشاعر قد وفق في استحياء التراث ولا سيما تصوير تضافر الأجناس القومية الداخلة في الإسلام في عهد صلاح الدين الأيوبي وسيف الدين قطز لدفع هذا الخطر الغشم ، إن ما حدث في غزة والخليل وعكا ، مما يبعث على الدهش والاستغراب ويتمنى أن يعود حتى يتحقق النصر للمجاهدين في الأرض المباركة على بني صهيون المحتلين

وفي قصيدته"عزة الإيمان " يقتفي آثار المتنبي في تشاؤمه وسوء الظن بالناس وبكل ما في أسلوبه من جزالة وقوة وميل إلى التصوير فيقول[٢]:

أرى الليل غارت في السماء كواكبه
فغار فؤادي والهمـــــــوم نوادبه
أنا ابن هموم الدهر حين تمخضت
مصائبه عن عســـــــرة ونوائبه
تسربلت جلبابا من الصـــبر ضافيا
وللصبر جلباب تطول ذوائـــــبه

(١) د. عمر عبد الرحمن ، دراسات في الأدب الإسلامي ٥ ص١٠٧، دار المنارة السعودية، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.
(٢) الديوان ص ١٦٧.

أسير على نور من الله في الدجـــى
وأحدو ركابي حيث تبدو مضـــاربه

وفي هذه الصورة يكشف عن الهموم التي تؤرق ليله وتلازمه واتخذت مقرها في قلبه تكويه بنارها ولكن الشاعر لا يعدم ما يطفئ به نيران قلبه ويقيه من حرها حين يظلم عليه الليل فيتخذ من الصبر سربالا ضافيا وما أطول ذوائب جلباب الصبر ويعينه على ذلك في سيره نور من الله يبدد ظلمة الليل البهيم يقوده حيثما حل وأينما ارتحل.

والشاعر استقصى في هذه الصورة الصور الجزئية كالاستعارات في قوله " فغار فؤادي والهموم نوادبه " في قوله : أنا ابن هموم الدهر حين تمخضت مصائبه وفي قوله " تسربلت جلبابا من الصبر" وفي قوله " للصبر جلبب تطول ذوائبه " وفي هذه الصور تشخيص إذ جعل الهموم نوادب و جعل لها وجودا ماديا ومقرا تقيم فيه وجعل المصائب أمهات تلدن والشاعر ابن لهن وتجسيم إذ جعل الصبر جلبابا وتشخيص فجعل للجلباب ذوائب.

وفي هذه الصور عبر الشاعر ببراعة عن التشاؤم وسوء الظن بالناس، تلك هي الصورة الشعرية التي تبرز ثورة الشاعر عدنان النحوي في قصائد ديوان "الأرض المباركة" أما حين يهدأ- وقليل ما يكون - فهو وصاف يتألق في وصفه فيجيد . و من أمثلة ذلك هذا المنظر الطبيعي الذي جاء في قصيدته "صفد" بلد الشاعر الحبيب يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله[1] :

(١) الديوان ص ١١٦.

يا زهرة اللوز الشهي وطلعة النور
البهـي وغرســـة الأجـــداد
يا غرسة العناب مدت كفها الـــ
مخضـــوب من فرع لها مـــياد
كالغـــادة الحـسناء خلف خبائها
دفـعـــت بنانا للـمحب الصادي
يا أمسيات في الرجـوم[1] كأنهـــا
عطر الشباب و بهجة الأعـــــياد
والبحرة الزرقاء[2] دون شـــعابه
نـــزلت فأنزلها ســـواد فـــؤاد
نهدت بجـــنبيها الربى و توثـبـت
نهـدين مضطربين فـــوق مهـــاد
أهـــدى لها الليل الشجي غـلالة
سمراء تخفق في ظلال ســـواد
وشت حـــواشيها النجـــوم لآلئا
تطوي و تنشر من بريق هـــادي
والبدر بين النـاهـــدين كـــماسة
موصولة في جيدها بـــقـــلاد

وهذه اللوحة الفنية التي يناجي فيها الشاعر "صفد" مسقط رأسه في دقة في التصوير وبراعة في التعبير عن مشاعر الألم

(١) الرجوم: مكان يطل على بحيرة برية يتنزه هو به.
(٢)البحرة الزرقاء: بحيرة طبرية.

والشوق، ولما فيها من واقعية في تصوير الأسى والانكسار وتحت وطأة الواقع المرير، لكن الشاعر ظلت ترفرف حول هناءات العيش القديم، وتتشبث بمظاهر الطبيعة فيها .

ويتواصل الشاعر النحوي مع التراث فيستقي كثيرا منه في صوره، ومن أبرز هذه الصور ما جاء في قصيدته بعنوان "رحلة" التي قلها بمناسبة الزيارة التي قام بها السادات إلى إسرائيل في يوم عرفة عام ١٣٩٧هـ في ١٩ نوفمبر ١٩٧٧م إذ يقول[١] :

فما كان إبراهيم إلا مصـــدقا بأحمـد عاطـــر البشـائر
ورتلها داود نفـح نـبـــوة ورجع تحنانا و خفق مزامـر
وصان سليمان الحلـيم أمانـة لأحمـد يوفيـها ندية شاكـــر
أولئك ما ساسوا الديار بعرقهم ولا ملكوها جاهـلية ســادر
ولكنهـا كانت صـفي أمانـة وعهدا يؤدى بعد حـين لـقادر
ورفّت على عيسى النبوة والتـــف
على ساحة الأقصى شغوف بصـائر
فأمـهم المخـــتار أحـمـــد
سيدا ليجمع من ماض زكي وحاضر
ويمضي على الأيام دعوة ربه جهاد ميامين ونـــفح أزاهر
وتتصل الأزمان بين طيوفهـا نبوة إسـلام وصـدق أواصر
ويصبح للإسلام ملك ربوعهـا وعهـــد أمينـا لا يرد لفاجر
فلذلك إرث الأنبياء ديـــارهم مرابع توحيد وخـفق منابـــر

(١)الديوان ص ١٩٨.

وثقافة الشاعر عدنان النحوي في هذه الصورة مستمدة من التراث فهو يستحضر دعوة أبي الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا أتم الصلاة و السلام التي جاءت في القرآن الكريم : " ربنا وابعث فيهم رسولا منهم...الخ " وقد صارت هذه الدعوة حقيقية ماثلة يرتلها الأنبياء من ذرية إبراهيم عليهم السلام حتى أصبحت خبرا بمولد النبي محمد ﷺ وتحقق صدق هذه الدعوة في عالم الواقع حين أسرى به تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى باحتفال مهيب، قام به النبيون والمرسلون والملائكة المقربون على ارض المسجد الأقصى صفوفا صفوفا يستقبلون القادم العظيم، و يحيطون به إحاطة الشهب بالبدر، كلهم يود أن يجتلي طلعته، وينال صحبته، فصلى بهم المختار أحمد إماما ، وكلهم نالهم الشرف بإمامته.

وهذه الأرض المباركة مهد الرسالات وملتقى النبوات منذ ذلك التاريخ غدت ربوعها أمانة في عهد المؤمنين برسالة محمد ﷺ لا يرودنه لفاجر فهذه الأرض المباركة مرابع توحيد ومنابر دعوة لميراث الأنبياء

وتوحي هذه الصورة بما يجب لفلسطين على المسلمين فإن بين المسجد الحرام في مكة والمسجد الأقصى في فلسطين رابطة قوية فالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث المسجدين ومسرى النبي محمد ﷺ فالمسلم الذي يحافظ على المسجد الحرام يجب عليه أن يحافظ على المسجد الأقصى.

ونثر الشاعر في هذه الصورة مفردات هذه الدعوة المباركة مثل: "فما كان إبراهيم إلا مصدقاً بأحمد ورتلها داود وصان سليمان الحكيم أمانة ورفّت على عيسى النبوة وعلى ساحة الأقصى المبارك يكون الملتقى وأمهم المختار احمد ليجمع بين الماضي الذكي والحاضر وإذا كنت العواصم الإسلامية في أنحاء الغرض فتحها خلفاء محمد من بعده ﷺ فان المقدس فتحها محمد بذاته فيجب أن تظل طاهرة نقية من رجس الصهاينة المعتدين وأن ترفرف عليها دائما ، وأبدا رأيه محمد سيد المرسلين. وذا واجب أكيد على كل مسلم في هذه الأرض[١] . وهذه الصورة وغيرها كثير في ديوان الأرض المباركة يتوصل بها الشاعر للتعبير عن أحاسيسه ومشاعره فالصورة تدور حول ذاته لتخرج من وجدانه وقد كان يتوسل إلى رسم صوره الفنية باستخدام الاستعارة التي عمد من خلالها إلى التجسيم والتشخيص لتأكيد المعاني و تقريب الحقائق والعبور بالألفاظ من حقائقها ودلالاتها الوضعية المحددة إلى عالم من الدلالات ممتد غير متناه . لأن سر البيان و جوهره لا يظهر إلا باستعمال المجازات الرشيقة . [٢]

فالمجاز كما يقول ابن الأثير" أولى بالاستعمال من الحقيقة في باب الفصحى والبلاغة لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحقيقة التي هي

---

(١) أحمد نصيب المحاميد، قبسات هادفات، ص١٥، دار الفكر دمشق ، سورية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و حقائق الإعجاز للعلوي، دار الكتب العلمية ،بيروت.

الأصل أولى منه حيث هو فرع عليها وليس الأمر كذلك لأنه ثبت وتحقق أن فائدة الكلام الخطابي هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخييل والتصوير حتى يكاد ينظر إليه عيانا. (١)

وقد نبه الناقد محمد مندور على قيمة الاستعارة حين قال : "الاستعارة أمر أصيل في الشعر بل نكاد نقول أنها خيوط نسجه وهي منه كالنحو من اللغة و كمال أطردت اللغات قبل أن يعرف متكلموها القواعد ويفطن إلى وجودها ، كذلك صدر الشعراء عن الاستعارة بفطنتهم دون معرفة نظرية ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها. (٢)

ومن ثم يؤكد بعض لباحثين عل قيمة الاستعارة وعدها مقياسا للحكم على الشاعر وجعل من امتلاك ناصيتها سمة العبقرية الأصيلة فيقول : " فإذا كانت الاستعارة تعبيرا عن شعور القائل وخواطره فتخرج في صورتها مطبوعة من نفسه ملونة بأحاسيسه لتدل على أصالته فيها وقدرته البيانية في تركيبها وبراعتها في تقوية الفكرة بالدليل الإستعاري وجلاء المعنى بالبرهان المحس والوحي بأعمق الحقائق وأبعدها غورا (٣) .

(١) المثل السائرج١ ص٨٨ ، لابن الأثير تحقيق د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر.
(٢) النقد المنهجي عند العرب ص٣٦ طبعة القاهرة ١٩٤٨.
(٣) د. علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية عند ابن الرومي، ص١٩٥، مطبعة الأمانة ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.

ولم يقتصر الشاعر عدنان النحوي في صوره الشعرية على قالب دون آخر فالتشبيه لم يكن بمعزل عنه. يقول الدكتور مصطفى ناصف:"التشبيه من ابسط أنواع التصوير البياني و قد فتن العرب بالتشبيه منذ القدم، و غلا نقادهم في الإعجاب بمكانته"(١) .

ويقول علي الجندي:"التشبيه لون من ألوان التعبير الممتاز الأنيق تعمد إليه النفوس بالفطرة حين تسوقها الدواعي إليه، وهو من الصور البيانية التي لا تختص بجنس ولا لغة، لأنه من الهبات الإنسانية، والخصائص الفطرية، والتراث المشاع بين البشرية جميعا، و ذلك أن أساسه هذه الصفات المشتركة، أو المتشبهة أو المتضادة التي يراها الإنسان في الأشياء"(٢)

وصورة التشبيه في شعر النحوي في ديوانه " الأرض المباركة " مستمدة من مشاهد الحياة التي تألفه ويألفها، وتقع في محيطه، كما انه نابع من التقليد للبارعين من شعراء العربية، وليس معنى هذا أن خيال الشاعر ضعيف، وإنما هو في جملته خيال خصب يشف الظلال الوجدانية و يرسم المشاعر بريشة فنان، حتى يجلو المعنى الحقيقي و يحقق المراد في الوقت الذي يضفي على البيت الشعري الجمال المتأنق و الأسلوب المشرق.

ومن ذلك قول الشاعر (٣):

---

(١) د.مصطفى ناصف، الصورة الأدبية ص٤٠، دار مصر للطباعة ، القاهرة، ١٩٥٨م.
(٢)علي الجندي ، فن التشبيه ج١ص٤٣.
(٣)

مالي أرى الأرض ثارت من تقاعسنا
ورجّعت بيننا صـوتا يناديـنـا
كأنما انتقدت أحشاؤها جـزعا
وولولت رهبا من واقـع فـيـنـا

وقوله في قصيدته "حيفاء"[١] :

ما أنت إلا عروس البحر من قدم علوت كبراً فمال البحر يغريك

وقوله في قصيدته "دمعة على رجل" في رثاء الحاج محمد أمين الحسيني [٢] :

والشاطئ الأزرق الغافي استحال إلى موج ، كأن عظيم الموج بنيان
كأنما الليل ألقى فوقـه قطـعاً أو احـتوى جوفه نار وبركان

وقوله في قصيدته "و تبسمت حين أشرق الفجر"[٣] :

هب كالليث و الدياجير حمقى جامحات مفـلوتة الأرسان
لججا من نوازع الشر سـودا مثقلات هـدرن بالحـدثان
تنزع الناس والخلائق حيرى تائهات الأبصـار والآذان
كتل ! كالعبيد ينهبها السـو ط جنونا تسـاق كالقطعان

ويلاحظ في هذه الصور أن الشاعر عدنان النحوي كان كلفا بالألوان في صوره البصرية، وهي ألوان عرفت تنوعا وتعددا ويلاحظ أيضا أن أبرز حاسة اعتمد عليها في تصويره حاسة الإبصار.

---

(١)
(٢)
(٣)

والحق أن هذه المصطلحات البلاغية ليست السبل الوحيدة التي يتوصل بها الشاعر لإبراز معانيه أو تزيين موضوعاته كما أن جمال الشعر ليس مقصورا على جودة الصور فيه فحسب، فثمة عناصر أخرى تهبه سحره، إمتاعه، ولعل أبرزها وأقواها الألفاظ وموسيقاها.

٤- الموسيقى الشعرية

تعد موسيقى الشعر العمودي المعتمدة على الوزن والقافية من أهم مقومات الشعر عند العرب، وهما حجر الأساس في موسيقاها الخارجية التي يقيسها العروض وحده[١]

بالإضافة إلى أن الموسيقى في الشعر لديها قدرة في تجسيد الإحساس المتمكن في طبيعة العمل الشعري نفسه مع قدرة الشاعر على ربط بنائه الفكري ملتبسا ببنائه الموسيقي[٢] .

والشاعر البارع هو من يستطيع إبداع موسيقى ينقل من خلالها تجربته، ويعرض أفكاره، ويصور مشاعره، فهي ركن من أأركان الابتداع الشعري. ولذا لا يوجد " شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره وجوه الزاخر بالنغم، موسيقى تؤثر في أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر[٣] .

---

(١) بناء القصيدة في النقد العربي القديم (بتصرف) ص١٥٨ ، دار الأندلس ، بيروت.

(٢) د. رجا عيد ، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، ص٩، منشأة المعارف.

(٣) د. شوقي ضيف، فصول في الشعر و نقده، ص ٢٨، دار المعارف، القاهرة و الطبعة الثالثة.

وقد اعتمد الشاعر النحوي في نظمه على بحور الشعر التي وضعها الخليل بن أحمد البصري في القرن الثاني الهجري لعلم العروض و القافية، فالتزم شاعرنا بوزنه العروضي.

ويقول عبد العليم القباني في تقديمه لديوان الأرض المباركة" أن صاحبه موسيقي بالسليقة[١] .

ويقول عنه احمد عوض النشاش "نجح الشاعر في الموسيقى لداخلية و الخارجية في القصائد وان كان أغلب استعماله للأبحر الطويلة: الطويل، البسيط، الكامل، ولكنه وفق عموما في موازنة موضوع القصيدة مع البحر الذي نظمت عليه[٢]

وقد استطاع عدنان النحوي بمهارته الفنية وسعة ثقافته اللغوية أن يطوع كثيرا من البحور العروضية لشعره و اتخذها مركبا ذلولا سلس له قيادها.

ويقول علي الجندي : " لا ريب أن لبحور الشعر وأوزانه أثرا في الأداء، وفي قوة الأسلوب وموسيقى العبارة[٣] .

ومن المعلوم لدى الدارسين أن موسيقى الشعر العربي تقسم إلى قسمين: خارجية وداخلية، فالخارجية تنجم عن البحر والروى المشتركين، والداخلية تنشأ عن تتالي الحروف في اللفظ أو التركيب وفق نسق بعينه.

---

(١) ديوان "الأرض المباركة" ص٤٤.
(٢) المصدر السابق ص ٥٢.
(٣) علي الجندي، الشعر وإنشاد الشعرص١٠١، دار المعارف.

وقد نظم الشاعر قصائده في هذا الديوان على سبعة أبحر هي: الكامل، البسيط، الخفيف، الرمل، الطويل، المتقارب، المتدارك

و كان توزيع القصائد و الابيات فيها وفق الجدول التالي:

البحر	أرقام القصائد	عددها	عدد الأبيات
الكامل	٢، ٥، ١٠، ١٢، ١٦، ١٩، ٢٤، ٢٤، ٣٢، ٣٤	١٠	٢٥٧
البسيط	١، ٣، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٤، ٢٨، ٢٩، ٣٣	١٠	١٩٥
الخفيف	٦، ١١، ١٣، ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٩، ٣٠، ٣٦	٩	٤١٠
الرمل	١٨، ٢٣، ٣١، ٣٤	٤	٨٢
الطويل	٢٥، ٢٦، ٣٥	٣	٩٥
المتقارب	١٧، ٢٨، ٣٠	٣	١١٢
المتدارك	٢٢	١	٤٤
المجموع ٧ أبحر	عدد القصائد: ٤٠ قصيدة	٤٠	١١٩٥ بيتاً

يتبين من هذا الجدول أن عدد البحور التي نظم عليها النحوي قليل بالنسبة لعدد بحول الشعر العربي الستة عشر بحرا ، وربما هذا راجع إلى أن هذا الديوان كان أول شعر عدنان النحوي.

ويلاحظ في الجدول السابق أن الشاعر كان يؤثر بحر الخفيف، حتى أن الأبيات التي نظمها على هذا البحر تقترب من نصف عدد الأبيات التي جاءت في ديوان "الأرض المباركة" وأن البحر الكامل والبسيط والخفيف من أكثر البحور دورانا في شعره، وأن موسيقى هذه الأبحر الثلاثة أكسبت شعر النحوي قوة النسج في الأسلوب، وجزالة البناء، وإحكام الصياغة، وثراء المعاني والأفكار وبراعة الخيال بالإضافة إلى ضروب البلاغة.

ومما يلاحظ أيضا من خلال هذا الإحصاء أن القصائد التي نظمها هذا الشاعر في الستينات والسبعينات أطول نفسا من القصائد التي نظمها في الأربعينات والخمسينات، وان أطول قصيدة في ديوانه "الأرض المباركة" قصيدة " لم يبق في عرفات إلا دمعة " وعدد أبياتها ثمانية وعشرون ومائة بيت وجاءت على وزن البحر الكامل التام.

ولعل ذلك يرجع إلى أن قيثارة الكامل ثرية النغم سخية العطاء.

"وبحر الكامل، وهو في يد الشاعر المتمرس ثري العطاء سخي النغم يستطيع- إن جاد العزف- أن يستنبت من اللحن ألحانا يستولد فيها أنغاما تتآزر مع بعضها البعض مع حركة الاستنباط الذاتي[١] .

(١) د. رجاء عيد، التجديد الموسيقي في الشعر العربي، منشأة المعارف.

وتأتي بعدها في الطول قصيدة "أسواق"، وعدد بياتها مائة وثمانية أبيات وهي من البحر الخفيف، وهي آخر قصيدة ختم بها الشاعر ديوانه "الأرض المباركة" وقد نظمها سنة ١٩٧٨م بمناسبة اتفاقية السلام في "كامب ديفيد" فيها يقول[١] :

إنها أمة تباع بســـــــوق عفن من نخاسة واغتيال

ثم يقول:

لأي سوق تموج فيه الثــكالى والأيامى وحـــــيرة الأطفال
وضجيج الآثام: إنه مفجـــــو ع وورجع النواحي والإعوال
والضحايا من الشعوب قطيع يتلوى في زحمة من ثعــالي

ولعل إدراك الشاعر أن حل مأساة فلسطين لا يكون إلا بالإسلام لا بفرض الاستسلام ، وفي هذه المطولة بث الشاعر الشجون التي تثير العواطف ، ورأى أن الإسلام بقواعده، هو الدواء لتلك الأمة التي طعنت في عزتها ، فهوت تتلمس في الثرى سندا، ومن ثم يقول[٢] :

لا يستعيد حمى الأوطان غير هدى
من الكتــاب وعبــاد له دانـــــوا

تشوقت لجنان الخلــد أنفـــــسهم
فأرعدت في البطاح الحمر فرســان

أما عن الصلة بين البحر والحالة النفسية للشاعر وبينه وبين أساليب الأداء الفني أو بينه وبين الغرض من القصيدة، فهذا أمر

(١) الديوان ص ٢٠٥،٢٠٣.
(٢) المصدر السابق ص١٠٧.

تضاربت فيه الآراء ، فمن الباحثين من تصور أن بحورا بعينها تلائم أغراضا بذاتها، ومنهم من صور أن اختيار الشاعر لوزن قصيدة ما يتم إراديا عن وعي مسبق قبل البدء في العملية الإبداعية وغيرها من وجهات نظر متباينة ، لكن هذا الأمر لا نميل إليه ولا نتفق مع قائليه ، حيث أن البحر قالب عام يستطيع أن يضفي عليه الشاعر الصيغة التي يريدها، بما يضفي عليه من عبارات وكلمات ذات طابع خاص، كما أن الشاعر المطبوع لا يضيع البحر أمامه وينسج عليه من قصائده، إنما الأمر الغالب أن عملية النظم والإبداع تتم في غيبة البحر الذي توزن به قصيدته بعد تمام عملية الإبداع التي ستظل إلى الأبد تزوغ عن حيز الفهم الإنساني.

وإلى جانب البحر تأتي القافية، وهي شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، وهي تشكل مع الوزن الوحدة الموسيقية للقصيدة، وقد تعددت آراء العلماء في تعريف القافية ، ولعل أقربها إلى الصواب رأي الخليل بن أحمد الذي يقول : " القافية عبارة عن الساكنين في آخر البيت مع ما بينهما من المتحرك حرفا كان أو أكثر ، ومع الحركة التي قبل الساكن الأول "[١]

ويقول ابن رشيق عن القافيـــة: " وهي قوام الشـــعر وملاكه، وأظهر سماته وأشرف أجزائه، وهي شـــريكة الوزن في

(١) نهاية الراغب في شرح عروض ابن الحاجب ص٣٤١، جمال الدين الاسنوي، تحقيق د. شعبان صلاح، دار الجيل ببيروت، الطبعة الاولى ١٤١٠هـ/١٩٨٩م .

الاختصـــاص بالشـــعر، ولا يسمي شعرا حتى يـــكون له وزن وقـــافية " [١] .

وتضم القافية " عدة أصوات تتكرر في أواخر الأسطر والأبيات من القصيدة، وتكررها هنا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية"[٢] .

وتكرار القافية يكون جزءا مهما من الإيقاع، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، و يستمتع بها.

"والقافية عند نقاد العرب تبدو أهميتها في أنها وقفات تهيئ للمستمع فرصة للتأمل المصحوب بالإمتاع الموسيقي"[٣]

" وللقافية قيمة موسيقية في مقطع البيت، و تكرارها يزيد في وحدة النغم." [٤]

وللقافية وظيفة أخرى بجانب ما تضفيه من موسيقى، فهي توجد رابطة بين العبارات التي تتخللها، وبدونها تشتت العبارات وتتباعد، ومن ثم لابد من القافية، ولابد أن تكون متصلة بموضوع القصيدة "فهي نوع من التوازن الكلي الذي يشل النص كله، والمقياس العام عندهم لها، هي أن تكون خاضعة للمعنى وتابعة له،

(١) العمدة ج١ص٩٩ لابن رشيق، تحقيق محي الدين عبد الحميد' الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٦٣م.
(٢) إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر، ص٢٤٢، دار الفكر.
(٣) منصور عب الرحمن ، معايير الحكم الجمالي في النقد الأدبي ص٣١٥، الطبعة الاولى١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، دار المعارف بالقاهرة.
(٤) محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديثص٤٤٢ دا ر العودة بيروت ١٩٨٧م.

فإذا كان العكس كان هذا مظهر قلقها وتكلفها، وعلى هذا فالقافية تكون معيبة وقلقة إذا جاءت حشوا لا فائدة من ذكرها سوى كونها قافية فحسب، تخلو حينئذ من المعنى، فتستكره على الاستقرار في مكانها لا ترتبط بما قبلها من الكلام "[١] .

ولما كانت القافية من الأهمية بمكان في توجيه الشعر وتوجيه موسيقاه، فقد حرص الشاعر عدنان النحوي على التركيز عليها والمحافظة عليها، والاهتمام بشأنها على امتداد شعره من قصائد ومقطعات، و لم يشهد شعره خروجا عليه إلا في قصيدة واحدة هي قصيدة "سقوط صفد". فقد عدد في هذه لقصيدة القوافي و تفنن في ترتيبها وتوزيعها على وحدات نغمية تسير وفق نسق معين[٢] مع ما تنطوي عليه من توازن وانسجام إيقاعي، ووقفات موفقة سليمة فيقول[٣] :

دمعة حرقت من الأجفـــان وزفير تبثـــه الشـفتان
وفـــــؤاد يثور كالبركان ونداء يضـــج في الآذان
صفد! حدثي بغير لسان
كيف تهوى معاقل الأبـــطال وتموت الرجال دون قتال
لا ضحايا هوت على الأطلال أو دماء ذكية في الجبـــال
فجرت نبعه من الإيمان

(١) معايير الحكم الجمالي في النقد الأدبي، ص٣١٥.
(٢) وهو ما يعرف بالمخمسات و هذا النوع استحسنه الشعراء المحدثون، فأكثروا منه لعذوبة موسيقاه.
(٣) الديوان ص٥٢.

ووعي الشاعر النحوي بخصائص أصوات الكلمات، وعمق دراسته للغة ورهف حسه مما حدا به إلى تعدد القافية في هذه القصيدة واختلاف حروف الكلمات التي تقابل حروف التفعيلات بعضها مع بعض ما بين حروف مد طويلة و حروف لين.

ومع محافظة الشاعر النحوي على القافية والأسس التي تقوم عليها، فقد لاحظت عليه وقوع بعض أعراض القوافي في شعره التي تؤخذ عليه و من هذه الأعراض:

١- الإبطاء : وهو أن تتكرر كلمة الروى بلفظها ومعناها في قصيدة واحدة من غير فاصل أقله سبعة أبيات وكلما قل الفاصل زاد الإبطاء قبحا"[١]

ومن الإبطاء في شعر عدنان النحوي تكرار كلمة "يقترب" في قصيدة رثاء الشهيد عبد القادر الحسيني بأقل من سبعة أبيات في قوله [٢]:

بعثت من كامل سهم القضاء لهم وذا "أبو دية" يدنـــو ويقترب

ثم قال بعد خمسة أبيات:

لم يبق عندك مذخور فتقذفـــه أو منجد قائم ينجو و يقــترب

وتكرار كلمة "التغريد" في قصيدة عيد فلسطين" في قوله[٣] :

بســم الكون إذ طلعت علــيه وزها في مديحك التغريد

---

(١) د. غالب الشاويش، الكافي في علم العروض و القوافيص٣٣٥، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
(٢) الديوان ص ٧٩.
(٣) الديوان ص ٦٧،٦٨.

ثم قال بعد أربعة أبيات:

هل هفا القلب حين مرت به الذ كرى وعاد التحنان والتغريد

وتكرار كلمة الهرم في قصيدة "شفق الفجر" في قوله[١] :

أيقظته كف واشنطن من نومه الهادي تحت الهرم

ثم قال بعد خمسة أبيات:

يا شهيد ضمّخ الترب بشذا ودما سال بسفح الهرم

٢- التضمين : وهو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله ولا يصح إلا به[٢]

ويسميه قدامة بن جعفر بالمبتور وهو أن يفتقر بيت إلى بيت أو تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها[٣] . والتضمين عيب عند أكثر النقاد إلا أن ابن الأثير لم يعده عيبا[٤] ولم يذكر الخليل بن أحمد التضمين في العيوب، ولم يعده منها ، لأن المعنى صحيح، وكذلك الأخفش، لا يرى التضمين عيبا، ولكن في نظره بعضه حسن وبعضه قبيح[٥] . ومن التضمين الحسن أو المقبول في شعر عدنان النحوي قوله[٦] :

---

(١) المصدر السابق ص١٣٢.
(٢) التعريفات للجرجاني ص٥٣.
(٣) البرهان في وجوه البيان لقدامة بن جعفر ص١٤٦.
(٤) المثل لسائر ج٢ ، ص٣٤٢ لابن الأثير تحقيق محي الدين بن عبد الحميد، مطبعة الحلبي، ١٩٦٣ م.
(٥) الكافي في علم العروض و القوافي، ص٣٤٠.
(٦) الديوان ص ١٨٤.

والنفس تتلظى ألـــما ولقلبي حائرا مستسـلما
عبس الطلعة ألقى نظرة فأرى الأفق كئيبا مظلما

ومنه قوله[١] :

عجبا! أيغدر صاحب بأخ ويسوقــه لمهــالك وردى
يشده عبر الحـــدود أخ الصدر رحب واليدان ندى

فكلمة "عابس" في البيت الثاني وقعت نعتا "للقلب" في البيت الأول، وجملة "يشده " في الشطر الأول من البيت الثاني معطوفة على جملة "ويسوقه" في الشطر الثاني من البيت الأول ، وهذا من قبيل التضمين المقبول أو الحسن، لان البيت الأول غير مفتقر الى البيت الثاني افتقارا لازما.

ومن التضمين القبيح في شعر النحوي قوله[٢] :

والناس إن عصف الزمان عليهم وأتى يكر بحملة هوجـاء
يتصارعوا إذ لا ترى من سائـل عن خلة أو مثبت لبـناء

فجملة "يتصارعوا " في الشطر الأول من البيت الثاني وقعت جواب شرط للفعل "ان عصف الزمان" فهو من قبيل التضمين القبيح، لأن البيت الأول مفتقر إلى البيت الثاني افتقارا لازما.

ومن الظواهر المخلة بالبناء الموسيقي في بعض قصائد الديوان وقوع الشاعر في التدوير "حيث تتداخل نهايات الأبيات

(١) المصدر السابق ص ٨٩.
(٢) الديوان ص ١٦٦.

المذكورة مع بدايات ما بعدها ويسميه بعض الباحثين"انشطار التفعيلة"[١]

ويقع الشاعر النحوي في مثل هذا العيب من مثل قوله في قصيدة فلسطين في ظلال القرآن" من بحر الخفيف:

أي فجر على الربى بعـــــــ ـث النور وألقى نسائما و رواء

والأصح تقديم الثاء من "بعث" و النون من "نور":

أي فجر على الربى بعث ن نور وألقى نسائما و رواء

كذلك لم يلتزم الشاعر بوضع "م" رامزا للتدوير بين الشطرين في شعره المدور، و هو كثيرا لورود في شعره.

٣ - القافية المجتلبة "المستدعاه"، كما سماها أبوهلال العسكري، وهي التي لا تفيد معنى بل تأتي ليستوي بها الروى، وهي لا صلة لها بالمعنى كما في قوله[٢] :

كف الطغاة من الدماء خضيبة وقلوبهم دمـــــن ووجه أجهم

فقد أتى الشاعر بكلمة"أجهم" ليستوي بها الروى.

وأيضا قوله[٣] :

هذي المعاقل آمال لأمتـــنا مصانع يرتجيها الشرق والعرب

فقد أتي لشاعر بكلمة "العرب" بعد ذكر "الشرق" ليستوي بها الروى، لأن الشرق يضم العرب وغاية ما يقال في قوافي عدنان

---

(١) د.يوسف نوفل ، في الأدب السعودي، ص١٦٤، دار الأصالة بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .
(٢) الديوان ص١٣٦ .
(٣) المصدر السابق١٨٠.

النحوي، وأنها كانت في الغالب متمكنة من مواضعها، لا تشكو من نبو أو تكلف أو إقحام، وهي تتلاءم في كثير من القصائد والغرض الأساسي في النص.

ومن ثم فقد تأكد حرص الشاعر على تمسكه بالوزن و القافية، ولم يخرج عن حدودهما المرسومة لهما في عروض الشعر، وهذا مما يعطي للشعر إيقاعا متميزا ونغما موسيقيا رائعا، تلذ له الأسماع وتهش له القلوب ويطرب له أصحاب الجمال والأذواق والفطرة السليمة.

أما لموسيقى الداخلية فهي تنبعث من تأليف الحروف في الكلمات، وتناسق الكلمات في الجمل[١]، وانسجام المقاطع العروضية، وتواليها على نظام خاص، مما يجعل الآذان تالف النغم الموسيقي لذي يثير فينا المتعة الموسيقية والراحة النفسية وشدة الانفعال وقوة الانتباه.

ولذا كان الشاعر عدنان النحوي حريصا على العناية باللفظ وأقبل على المحسنات البديعية كالطباق و المقبلة على نحو يضعف الشكل الفني ويضيع المعنى خلف تصنع البديع مثل الطباق في قوله[٢]

فإذا تصفو عليهم بعد ذا يها الصاح؟ فلا تصـــو ونم

(١) سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، ص١٠٤، مكتبة الشروق ببيروت.
(٢) الديوان ص ١٦٣.

وكالمقابلة في قوله[١] :

فإنك يا صاح طير طليق وما زلت في قفصي انتظر

كما لجأ الشاعر إلى الإشتقاقات غير الشهيرة وكانت صحيحة و مظهر من مظاهر تمكنه اللغوي مثل قوله[٢]

وضنا ظلها فمالت اليه واستحسنت من الهواجر نيب

ومثل قوله[٣] :

كان لي زهرة يفوح شذاها وبساط منمق وعشيـــــب

ومثل قوله[٤]

أين قومي؟ وضاع صوتي كأن لم يكن في الدار صاحب أوغريب

ومثله قوله[٥]

خيم تنبت الأماني فيها ويضم الوليد صدر حدوب

ومثله قوله[٦] :

ألقت لأحمد بإمامة فارتقى سبعاً بومضة بارق صعّاد

وقد كان الشاعر يقظ الأساليب النداء وأساليب النداء وأساليب لاستفهام فاستخدمها استخداما جيدا مثل قوله[٧] :

---

(١) المصدر السابق١٧٦.
(٢) الديوان ص ١١٠.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الديوان ص ١١١.
(٥) المصدر نفسه.
(٦) الديوان ص ١٢٠.
(٧) المصدر السابق ص١٠٨.

أنا يا أخت ضائع لست أدري أين قومي و أي أرض أجوب؟

ومثل قوله[١]

يارب! هذا دعائي أرفعه إليك وهو على الآثام محمول

ومثل قوله[٢] :

أختاه أين المسلمون وحشدهم أين الملايين الغثاء! أهانوا؟

ومثل قوله[٣] :

أيها العيد أين منك الوعود طال فيك الرجاء و الترديد

وما أروع الاستفهام "أين قومي؟" و "أي أرض أجوب" ومال أجمل استفهامه "أين المسلمون و حشدهم؟"، "أين الملايين الغثاء!"، "أهانوا؟".

وينزع الشاعر عدنان النحوي نحو استخدام ألفاظ نائية ومن الملاحظ أن هذه الألفاظ إما تأتي متساوقة مع الوزن والقافية يدفع إليها الشاعر دفعا بفعل السياق الموسيقي هذا اللون كثير الورود في شعره مثل قوله[٤] :

خفق القلوب دعاء أنت تسمعه وللجوارح تسبيح و تهليـــــل

وكقوله[٥] :

---

(١) المصدر السابق ص٥٥.
(٢) الديوان ص ١٥٠ .
(٣) المصدرص٦٧.
(٤) المصدر السابق ص ٥٥.
(٥) الديوان ص ٦١.

وامش الهوينا وناج القلب في وله
ما ضرنا لو حفظنا العهد و الدينا

وكقوله[١] :

فدونكم الأيام واشقوا وجاهدوا فما العمر الا أن تعاونوا وتطلبوا

وقد تكون هذه الثنائية ناجمة عن معاناة الشاعر بالمأساة الفلسطينية ، إلى جانب معاناته لأحداث العالم العربي و هموم أمته الإسلامية مثل قوله [٢] :

فيا قومي استولى النعاس عليكم
وغيركم بالدهر يشـــقى و يتعب
وأنتم أقمتم في ضياء الكـــــرى
وقامت بنات الدهر تبكي و تندب

و كقوله[٣] :

أيها العيد أين منك الوعـــــود طال فيك الرجاء و التردي ـد
مازلت أرجع للذكرى فتؤلمني وفي التذكر تعذيب وتســـهيد

وجاءت هذه الثنائية كيرا في شعره وخاصة قصائد الطوال كما في قصيدته "جرحان" وغيرها وفيها يقول[٤]:

(١) المصدر السابق ص٦٥.
(٢) المصدر السابق ص٦٧.
(٣) الديوان ص٨٩.
(٤) كتاب الصناعتين ص ١٥١ أبو هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي و أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب المصرية.

جرحان: تحمل من نزيفهما ألم يجني الروح والجسدا
جرحان: يعتصر الأسى بهما عمر الفتى و الشيخ والولدا

وتبدو أن مظاهر الجمال الموسيقي للشعر واضحة عند الشاعر عدنان النحوي فقد تأكد حرصه عليها بتمسكه بالوزن والقافية ولم يخرج عن حدودهما المرسومة لهما في عروض الشعر العربي أما ما وقع في شعره من عيوب القافية فلا يقلل من قدرته الشعرية ولا ينال من مكانته فهو شاعر وع اللغة لملكته فمثل هذه العيوب وقع فيها غيره من الشعراء. يقول أبو هلال العسكري: "وينبغي أن نتحامى العيوب التي تعتري القوافي مثل السناد والإقواء والإيطاء وهو أسهلها والتوجيه وإن جاء في أشعار المتقدمين وأكثر أشعار المحدثين."

الخلاصة

وخلاصة القول إن ديوان "الأرض المباركة" الذي يضم أربعين قصيدة ومقطوعة استقاها الشاعر عدنان النحوي من عدة مناهل غير منفصلة تماما تلك هي: لفلسطينيات والمراثي والوجدانيات و السياسيات والقوميات والإخوانيات وتحتل فلسطين سواء في القصائد الخاصة بها أو في القصائد الأخرى نصيبا كبيراً وليس ذلك بعجيب ففلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل عربي والشاعر عدنان النحوي أحد الأصوات البارزة في الأدب العربي الحديث ذي الصبغة الإسلامية . و بهذه الروح الإسلامية كتب أروع قصائد الديوان هي "دعاء"، "فلسطين في ظلال القرآن" "لم يبق في عرفات إلا دمعة" "وتبسمت حين أشرق الفجر"

والشاعر يقرر بما أحدث في أدب أمته و ما أمدها من عقله وقلبه وبيانه والشاعر المجيد هو من يثير الأفكار ويهيج النفوس وينشئ شعرا ويتردد على الألسنة والأقلام ويتمثل به الناس في الحين بعد الحين وينشدونه طربين ويحفظون محتفين.

ولا ريب في أن كل هذا نجده متحققا في ديوان الأرض المباركة الذي تناولته هذه الدراسة و تكشفت عن الآتي:

١- الأسلوب الغالب على لغة الشعر السهولة والوضوح ليست فيه تلك الكلمات المعجمية الصعبة فقد اختار الشاعر من المفردات ما يتلاءم مع الموضوع وروح العصر، وإن لم تخلوا هذه المفردات من بعض الألفاظ التي يتضح فيها التأثر بالتراث مثل: متبول، سرا حين، صيد، غالية، أودية، المطايا، هذير، غضنفر، جحافل، أيك.

ولا تخلوا الألفاظ من بعض المفردات القرآنية التي تعكس ثقافة الشاعر ونزعته الإسلامية مثل: "وكم تنفس صبح، ومضوا لإحدى الحسنيين، وروح وريحان، وقد برئ إلا روح رحمان"

٢- اعتمد الشاعر في بنائه الشعري على وحدة القصيدة لا وحدة البيت مما أضفى على القصائد تماسكا وارتباطا ومن هنا كان اهتمامه بالجان الموسيقي فموسيقاه غالبا رنانة ضخمة حلوة وكانت ثقافته اللغوية تساعده على اختيار الألفاظ ذات الطاقة الموسيقية العالية وربما كانت تربيته اللغوية الرصينة من الأسباب المهمة التي رفدت هذه العناصر وكان متأثرا بالكثير من شعراء العربية قديماً مثل أوس بن حجر وأبي تمام والبحتري والمتنبي وأبي فراس

الحمداني وحديثا بأحمد شوقي وينحصر هذا التأثر في بعض طرق التعبير أو التصوير في مطلع حياة الشاعر الباكرة ثم ما لبث أن تجلت شخصيته في قصائده التي توهج بها وجدانه فأخذت صوره تدق وتتجلى بتأثير الصدق العاطفي والمعاناة الشعورية كما ارتفعت لغة شعره وموسيقاه إلى مرتبة سامية من الإحساس وقوة التعبير.

٣ - النهج الفني الذي سار عليه لشاعر في قصائد الديوان هو الشكل العمودي ولا وجد فديوان " الأرض لمباركة" أي قصيدة تخالف هذا النهج الفني وهو خلاصة لكل التقاليد لفنية التي التزمها الشعراء القدماء في قصائدهم ونجح الشعر في توفي الموسيقى الداخلية والخارجية في قصائد هذا الديوان وكان أغلب استعماله للأبحر الطويلة : الكامل ، البسيط ، الخفيف.

وختاما أقول إن محاولة الشاعر عدنان النحوي في هذا الديوان كانت لبنة جديدة أضيفت إلى صرح الإبداع الفني في الأدب الإسلامي الملتزم الذي نأمل أن نرى كل يوم ديواناً جديداً لشاعر مسلم ملتزم

وأخيرا فاني لسعيد إذ أقدم هذه الدراسة عن ديوان الأرض المباركة" لأديب مسلم ملتزم وإنني لم آل جهداً في هذا البحث وكل ما أرجوه أن أكون قد أديته حقه وقمت بشيء من الواجب تجاه الأدب لإسلامي وما الكمال إلا لله وحده.

د.علي جاد الحق سعيد

مصادر و مراجع

أ- المصادر

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

الأدب الإسلامي : إنسانيته وعالميته عدنان النحوي، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

الأرض المباركة، ديوان شعر عدنان النحوي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

ب- المراجع

١- كتب

إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، دار الفكر

ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق د. أحمد الحوفي و بدوي طبانة، دار نهضة مصر.

ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر و نقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، الطبعة الثالثة، مطبعة السعادة بالقاهرة، ١٩٦٣

أبي هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب المصرية.

أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، القاهرة، الطبعة العاشرة

أحمد نصيب المحاميد، قبسات هادفات، دار لفكر، دمشق، سورية، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

أحمد يوسف علي، إصدارات نادي القصيم الأدبي، دراسات نقدية عن الشاعر عمر بهاء الدين الأميري،

بناء القصيدة في النقد العربي القديم، دار الأندلس

جمال الدين الأسنوي، نظرية الراغب في شرح عروض بن الحاجب، تحقيق د. شعبان صلاح، دار الجبل، بيروت الطبعة الأولى ١٣١٠هـ/١٩٨٩.

رجاء عيد، التجديد في الشعر العربي، منشأة المعارف

سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، مكتبة الشروق ببيروت،

شوقي ضيف، فصول في الشعر و نقده، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة

عبد الحليم حفني ، معلقة امرؤ القيس في ضوء جديد، مطبعة السعادة ، الطبعة الاولى ١٤٠٥، ١٩٩٨٥م

عبد الرحمن رأفت الباشا، نحو مذهب إسلامي في الأدب و النقد، دار الأدب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م

عبد الرحمن عثمان مذاهب النقد وقضاياه، الطبعة الأولى، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م

عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، الأردن ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

علاقة الأدب بشخصية الأمة، عبد الرحمن العشماوي، مكتبة العبيكان ، الرياض، السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، و حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت،

علي الجندي، الشعر و إنشاد الشعر دار المعارف

علي الجندي، فن التشبيه، ج١، دار الأندلس بيروت

علي علي صبح، البناء الفني للصورة الأدبية لابن الرومي، مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م

عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤

عمر عبد الرحمن، دراسات في الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

غالب الشاويش، الكافي في علم العروض و القوافي، مكتبة الرشد بالرياض، الطبعة الثالثة١٤٢٤هـ/٢٠٠٣

قدامة بن جعفر، البرهان في وجوه البيان

محمد الربع الحسني الندوي، الأدب الإسلامي و صلته بالحياة، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٥م

محمد حسن برغش، في الأدب الإسلامي المعاصر، مكتبة المنار، الأردن ، الزرقاء، الطبعة الثانية١٤٠٥/١٩٨٥م

محمد حسين، الإلزام في الأدب الإسلامي، المختار، نادي القصيم الأدبي ١٤٠٨هـ

محمد زكي العشماوي، قضايا لنقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

محمد صالح الشنطي ، النقد الأدبي الحديث، دار الأندلس، حائل ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

محمد غنيمي هلال ،النقد الأدبي الحديث ، دار العودة، بيروت، ١٩٨٧م

محمد مندور ، النقد و النقد المعاصرون، دار نهضة مصر

محمد مندور، الأدب ومذاهبه، نهضة مصر،

محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، طبعة القاهرة ١٩٤٨م

محمد نايل، اتجاهات و آراء في النقد العربي الحديث

المختار، العدد الخامس السنة الثالثة، رمضان ١٤١٥هـ

المختار،العدد السادس ، نادي القصيم الأدبي ١٤١٩/١٤٢٠هـ

مصطفى السحرتي، النقد الأدبي من خلال تجاربي

مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، القاهرة، دار مصر للطباعة، ١٩٥٨م

منصور عبد الرحمن، معايير الحكم الجمالي في النقد الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م

نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

نجيب الكيلاني، مدخل إلى الأدب الإسلامي، كتاب الأمة، العدد١٤، الطبعة الأولى، قطر،١٩٨٧م

يوسف نوفل، أدباء من السعودية، دار العلوم، الرياض، السعودية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣

يوسف نوفل، الأدب السعودي، دار الأصالة للثقافة، بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م

يوسف نوفل، ديوان الشعر في الأدب العربي الحديث، دار النهضة

٢- مجلات و كلمات إذاعيه

مجلة الجديد الأردنية العدد٥٠٧ ، ١٩٨٧٨/١/١٤

مجلة اللواء الأردنية، ٨ تشرين الثاني ١٩٧٨

من إذاعة المملكة العربية السعودية:

الملامح الإنسانية في ديوان "الأرض المباركة"، محمد الصباغ في ١٨محرم ١٣٩٨هـ

ديوان "الأرض المباركة" ، د.احمد كامل زكي